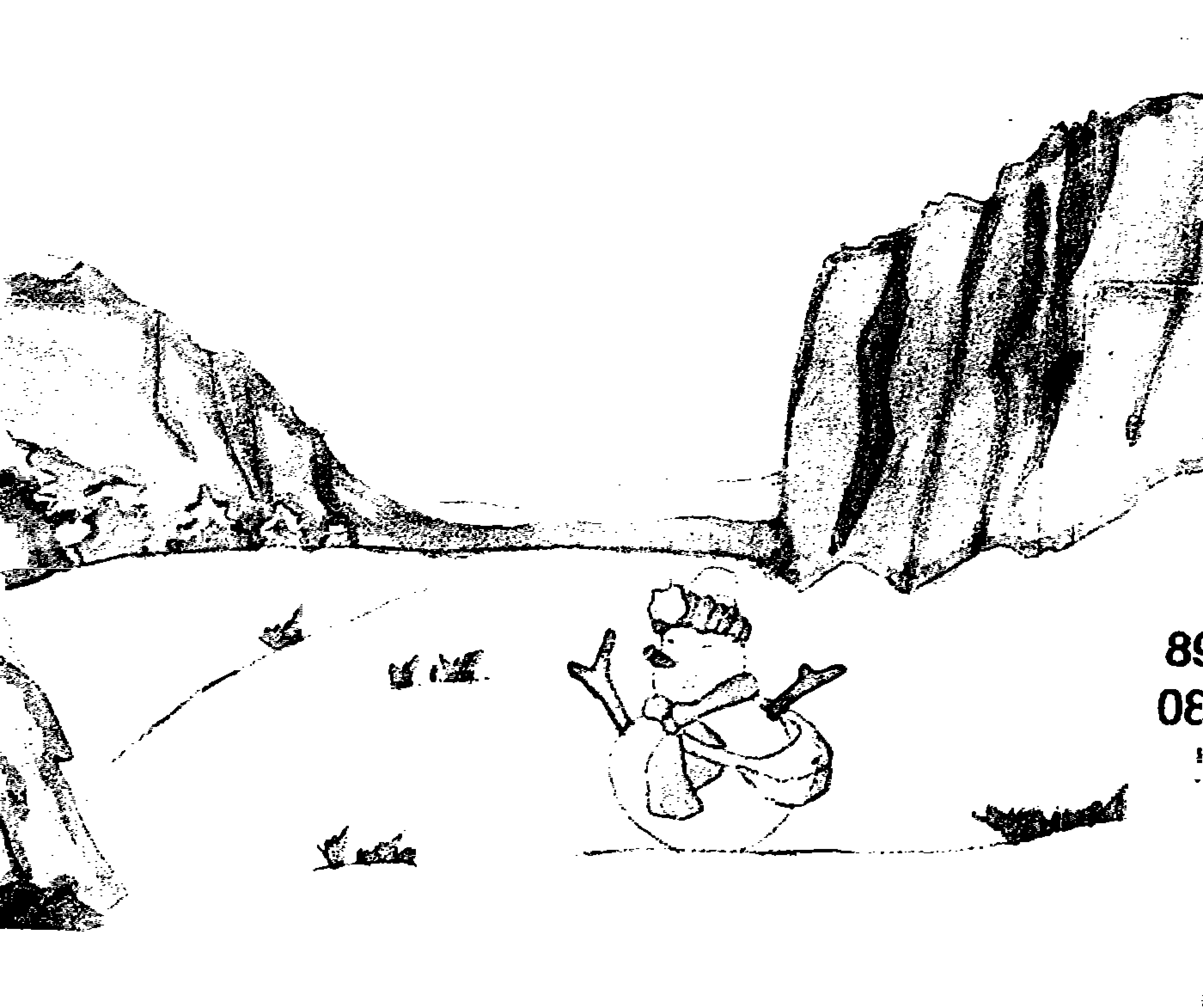
الفصول المجنونة

قصص للأطفال



غالية خوجة

الفصول المجنونة

البريد الالكتروني: E-mail :unecriv@net.sy

aru@net.sy

موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت

http://www.awu-dam.org

تصميم الغلاف للفنانة : سمر رمضان

□□

غاليـــة خوجـــة

الفصول المجنونة

- قصص للأطفال -

من منشورات اتحاد الكتّاب العرب

دمشق - 2001

الإهداء

إلى كلّ الأطفال الذين ولدوا

وسيولدون

ولم يولدوا بعد..

إلى براءتهم

وهي تكبر

مع براءة الكلمات

لتظلّ تقرأ هذه القصص..



كلمات البحر

خلف الجبال،

كان البحرُ يُلاطِمُ الصخورَ والشواطئ.. يُوزّعُ على الرمالِ والحصى أمواجَهُ، وأصواته، وحكاياتِهِ الكثيرةَ التي لم يسمعْها أحد.

ما زال البحر بين المدِّ والجَزْر..

للبحرِ قصصٌ يرويها كلَّ يوم، يتناقَلُها الموجُ والرملُ والحصى والفضاء والنجوم والليل والنهار..

-ألا تسمع تلك الوشوشةَ يا عصام؟

-تقصدين أصواتَ الأمواج؟

-بالضبط.. هل تستطيع أنْ تتخيَّلَ ما ستحكيه لنا الأمواجُ؟: أسألُكَ أنا كاتبةُ القصة، فتَشْرُدُ وأنتَ تقرأ، وبسرعة تجيبني:

-ربّمــا تقــول الأمواجُ: أنا حزينةٌ لأنَّ البشرَ يــلوّثون ميــاهي.. فالأوساخُ والنفاياتُ تُزعجنـي.. أو، تقــول: أنــا فــرحةٌ لأنكم تعرفون السباحةَ، فتزورونــني فــي العطــل.. تلعبون، وتمرحون، وتبتهجون، فأمرح وألعب وأبتهج معكم.

تصمتُ قليلاً وتُفكّر.. فأسألُكَ:

-فقط هذه هي كلمات البحر؟!

تنظر إليَّ بعمق، وتجيب:

-أتوقّع أنّ البحرَ مليءٌ بحكايات قديمة وجديدة مثــلما هــو مــليءٌ بالمرجان والأسماكِ والمحار

والنباتات والأسرار.. أذكرُ ما حكتْهُ لي جدّتِي ذات يوم.

-وماذا حكت جدّتُكَ؟

تنظرُ في المدى مُستَذْكِراً، ثُمَّ..، تَسْرِدُ لي:

-ذاتَ يوم،

قضَــيْنا نُزهتَــنا في أحد الجبال المشرفة على البحر.. كانت الأشجارُ كثيفةً، والأعشابُ تهتزُّ مع الهــواء.. والأزهــارُ البريّةُ تفترش التربة بألوان مــتعددة تشــعركِ وكــأنّ العطرَ يفيضُ بالأخضرِ والأزرقِ والأحمــر والليــلكي والأبيض والأصفر والــبرتقالي.. لَعبْــنا بالمضــارب.. والكـــرة، والأرجوحــةِ الــتي نصَــبَها والدي بين شجرتَيْن عملاقتين.. وعندما تعبْنا جلسْنا للطعام.. بعدَ ذلك، رحْنا نتأمل الطبيعة.. الدعسوقات الحمراءُ المنقّطةُ بالأســود كانت تسير على التربة، بين الحشائش، وعــلى الجــذوع والأغصان.. صوتُ العصافير

والـــنوارس كان أنشودةً تشترك في تأليفها وعزفها أصـــواتُ الـــرياح التي تُسقط بعضَ حبّاتِ التوت الـــبريّ عـــن الأشـــجار.. يومَها.. ركضتُ وراء الفراشـــات.. راقبتُ النمل وهو يعمل دون تعب.. حدّقـــتُ إلى الســـماء الجميلة وهي تحضن الشمسَ الذهـــبية.. طيـــورٌ كـــثيرة ومتنوعة كانت تحلّق.. وفجأةً..

سـمعتُ صـراخَ أمي.. ركض أبي وأخوتي وجدتي.. ركضتُ إليهم.. كاد أخي الصغير يغرق لو لم يرمِ أبي نفسَهُ في البحر وينتشله من الموج.. وبعدما حَمدْنا الله على سلامة أخي، قالت جدتي:

الـــبحر يحـــبّ الإنســـان الجـــريء. البحارة والصـــيادون والغواصـــون أصدقاءُ الموج.. لأنهم شجعان.. وأنتم أيضاً..

-وهـــل أنا مثلهم شجاع يا جدتي؟: سأل أخي الصغير الذي ارتاح قليلاً بعد الإنقاذ.

قالت جدتي:

-طبعاً وأنت أيضاً لأنك غامرْتَ وخضْتَ في البحر.. لكن، مَنْ لا يُجيدُ السباحةَ، عليه أنْ لا ينزل وحيداً إلى الموج، لأنه سيغرق.. وسيُسبِّبُ لأهله حزناً دائماً..

لحظتَها، خجِلَ أخي واعتذر للجميع، هنا، تدخّلتْ جدتي ونظرتْ إلينا قائلة:

-سأروي لكم حكايةً عن البحر.

سكتْنا كُلّنا، وأصغَيْنا بانتباه وشوقٍ شديدَيْن لكلماتِ الجدة المصحوبةِ بسُعالٍ خفيف:

-في سالف الأزمان،

كان البحر دائمَ التوتّرِ والهيجان، يُغرق البشرَ والمراكب.. وكانت مدينة من المدائن القديمة تعاني كثيراً من هذه المأساة.. لم يُفلح السَّحَرة والمشعوذون في تهدئةِ البحر..

وعـندما احـتار أهل تلك المدينة في أمرهم.. أرسلوا وفداً منهم إلى المعبد..

كان كاهنُ المعبدِ رجلاً عجوز، مُلْتَحياً، طويلَ القامة. فتَحَ للوفدِ بوابَةَ المعبدِ المزخرفة، المضاءة بالشـموع، واسـتقبلَهُ فـي قاعةٍ يتصدّرها تمثالٌ ضخم..

قال أكبر رجلٍ من الوفد:

-أيهـا الكـاهن، ألا تعلم كيف نكسب صداقةَ البحر؟

هـزَّ الكـاهنُ رأسَهُ، فارتجفتْ لحيتُهُ، وتمايلَ لهـبُ الشموع القريبة من التمثال. وبوقارٍ، حرّكَ شفتَيْه:

-أعلم كيف يكسب الإنسان صداقة البحر..

-مـا دمْـتَ تعلم، فلماذا تَدعُنا نُلاقي كلَّ تلك الكوارث؟: سأل واحدٌ من الوفد.

صـــمتٌ مخيف ساد فيِ القاعة، لم يقطعْهُ غيرُ خطــواتِ الكاهن الذي دخلَ إلى غرفة أخرى، ثم خرج ومعه حمامة..

جـــلس الكـــاهن على كرسيّه، حاضناً الحمامة بيدَيْه، وقال:

-إنّ البحر يطلب أُضحيةً.

-نحـــن مســـتعدون: بصوت واحد، قال أفرادُ الوفْد.

-ولكـــنّها أُضحيةٌ بشريةٌ.. عليكم أنْ تضحّوا بشخصٍ منكم كلَّ سنةَ.

ارتبكَ رجالُ الوفد. تشاوروا في كلامِ الكاهن، ثم وقف كبيرُهُم ليقول:

-نحـــن موافقون.. فمَنْ منّا سيكون الأُضحية الأولى؟

قال الكاهن:

-هذا ما سيقرّره التمثال. سأُطلِقُ الحمامة في فضـــاء القاعة، ستدور ثلاث مرّات حول رؤوسنا، وســتقف عــلى رأس التمثال.. فإذا تحركَ رأسُ التمــثال نحــو اليمين ونزفتْ عينهُ اليُسْرى دماً، فيعني ذلك أنّ البحر يريد دائماً ابنةَ واحدٍ من أهلِ المديــنة، وإذا تحــرّكَ رأسهُ نحو الشمالِ وذرفتْ عيــنهُ اليُمْنى دمعاً، فهذا يعني أنّ البحر يريد دائماً ابنَ واحدٍ من أهل المدينة.

-ومــا المقصــود بــــ(دائماً)؟: استفْهَمَ رجلٌ متوسّط العمر.

-أي، عــلى أهل المدينة أنْ يضحّوا كلَّ سنة بفــتاة إذا تحــرّك رأسُ التمثال نحو اليمين، بينما يضحّون كلَّ سنةَ بفتىً إذا تحركَ رأسُ التمثال نحو الشمال.

ولمــا قــبلَ الوفــدُ بهذا الحل، أطلق الكاهن الحمامة..

رفّـتِ الحمامةُ البيضاء المكحّلةُ بسوادٍ شفيف فــي فضــاء القاعــة، دارت ثــلاث مرات حول الــرؤوس، وما إنْ وقفت على رأس التمثال، حتى استــدار نحو اليمين ونزفت عينهُ اليسرى دماً سال على وجه التمثال وذقنه وخصرِه وقدميْه..

شكّل الدمُ بقعةً كبيرة..

ولم يتوقف النزيف حتى طارتِ الحمامةُ عائدةً إلى الغرفة.

-وكيف سنختار الأضحية؟

أجاب الكاهن:

-بعد ثلاثة أيام، وقبل الغروب بقليل،

تجمعون كلّ فتيات المدينة على أحد الشواطئ، وسأطلقُ الحمامة.. والفتاةُ التي تقف الحمامة على رأسها ستكون الأضحية المباركة.

رضـــي الوفــد بهــذا القَدَر. ودّعوا الكاهن، وبمنتهى الحزن، رجعوا من حيث أتوا..

كـــان الــناس ينتظرون.. وصلَ الوفْدُ، وأخْبرَ سكان المدينة بالحل..

ثلاثةُ أيام سوداء مرّتْ علي المدينة.. خلالها، لـــم يخـــرجْ أحدٌ من بيته.. كل عائلة كانت تودّع بناتِها الوداع الأخير..

انتهت المُهْلَةُ،

وفي اليوم الثالث كانت فتياتُ المدينة مجتمعات عـــلى الشاطئ الرملي.. بينما اصْطَفَّ أهل المدينة مثل سور عظيمٍ حول الفتيات..

كـــان الأهــل يجهشون بالبكاء.. والفتيات كُنَّ يـــنظرْنَ بحُزنٍ وخوف.. وحدَها ابنةُ الملك كانت تبكي..

بعد قليل،

سيكون الغروب ضيفاً على البحر والجبال والغابات والصحارى والقرى والمدن..

وصل الكاهن ومعه الحمامة..

ازداد الرعبُ في قلوب الجميع، ما عدا فتاة واحدة بدأت تبتسم.. وبين سكونِ الناس وصوتِ البحر، أطلق الكاهنُ الحمامة..

حلّقت الحمامة بعيداً.. فوق المراكب الراسية، فوق أشجارِ الغابة القريبة، فوق الرؤوس..

كانت أشعةُ الغروب تتخلّل أجنحة الحمامة وتصل إلى الموج وعيونِ الناس.

بسرعة أكبر، حلّقت الحمامة فوق رؤوس الفتيات.. حلّقت مرتين، وفي الثالثة حطّت على رأس الفتاة المبتسمة.. فصرخ أبواها وركضا إليها..

كانت الفتاة ابنة وحيدة لعائلة فقيرة.. علّمتها

أمّها الصبر، ووالدها الصياد علّمها كيف لا تخاف البحر..

وقبل أن يصل والداها إليها، رمَتِ الفتاة نفسَها في الموج و.. سبحت..

موجــةٌ تغطّيها، موجةٌ تقذفُها، وموجةٌ تسحبُها إلى أعماقهــا.. ســبحتِ الفــتاة حــتى غابت عن العيــون. أمُّ الفــتاة كانت تذرو الرمل على رأسها وتصــرخ.. ووالدها كان يبكي بحُرقة وهو يحدّق فــي المــوج.. كــان أهل المدينة يهوّنون مصابَ الــرجلِ والمــرأة.. وكانت أشعة الغروب تخفتُ تدريجيــاً.. تخفتُ حتى تغيب الشمس ويظهر الليلُ كجثّة هامدة..

لم يكنْ يضيءُ العتمةَ سوى مشاعل قليلة..

وبيــنما همَّ الجميع بالعودة إلى منازلهم، هدَرَ الــبحر، ولمَعَ من موجاتِه ضوءٌ هائل كأنه القمرُ يسقط الآن من مكانه ليسبح..

التفتَ الناس إلى البحر.. لم تمُتِ الفتاة، بل، تحولَتْ إلى حوريّةِ ضوءٍ تتقدم نحو الشاطئ.. تذرفُ دمعاً يصير لؤلؤاً..

ركض والدا الفتاة إليها، لكنها.. عادتْ إلى أعماق البحر.. حاول أبوها الصيادُ أنْ يرميَ نفسَه في الماء.. أمسكتْهُ زوجتهُ وأمسكَهُ الناس.. حينَها، صاح الكاهن:

-هيا.. وليأخذْ كلٌّ منكم نصيبَهُ من اللآلئ.

بعدما جمع كلٌّ منهم ما كيفيه من اللآلئ، غادر الجميعُ الشاطئَ اللؤلؤيَّ عائدين إلى المدينة..

كانوا موكباً حائراً يعبرُ الطرقات..

منذ تلك الليلة،

لم يعُدِ البحر يُغرقُ الكثير من البشر والمراكب، ولم يعُدْ بحاجة إلى الأضاحي..

منذ تلك الليلة،

وحوريـــةُ الضوءِ تزور مدينتَها (مدينة اللؤلؤ) كـــلَّ ســـنةٍ مرَّةً.. تبكي، تاركةً دموعها لآلئ على الشواطئ وفي المحار..

-حكايـــةُ جدتِكَ اختصرتْ كلَّ كلامِ الموج يا عصام.

-هل أعجبتْكِ..؟

وقبل أن أجيب،

يقـــترب الـــبحر مـــنا.. باستحياءٍ ينظر إلينا.. يرشقنا بموجةٍ خفيفة، ثم يعود إلى مكانه.. هناك.. خلف الجبال، ليُلاطِمَ الصخورَ والشواطئ، ويوزّع على الرمال والحصى والفضاءِ حكاياته الكثيرة..



أين أمّي؟

غداً عيدُ الأمِّ.

وهــا هــي (ساندي) تجلس حائرة بين كتبها، تفكــر كيــف ستشتري لأمِّها هديةً وهي لا تملك نقوداً.

أبوها يعمل بإخلاصٍ وجد ونشاط، ومع ذلك، عائلتها فقيرة.

كــانت (ساندي) تلميذةً مجدةً ومهذبة ومحبوبة من مدرِّساتها وصديقاتها.

كانتْ صديقتها (ندى) قد اشترتْ لوالدتِها خاتماً ذهبياً أحضرتْهُ معها إلى المدرسة لتُريَهُ لزميلاتها. كــان الخــاتم يــلمع مــثل شمسٍ تتوسّطُ الموجَ. تحسّــرتْ ساندي وهي تُحدّق في الخاتم المتوهّج، وفــي هدايا صديقاتها الأخريات. (فاطمة) اشترتْ قميصــاً حريــرياً لأمها. (عبير) اشترتْ عطراً. و(ريمــا) اشــترتْ حقيــبةً جميلة. وحدَها (عنود) اشترتْ لأمها كتاباً.

مــا زالــت ساندي في غرفتها حزينةً، تنظر حولهــا، فيقعُ بصرها على قصة (سندريلا) تتناول القصة وتبدأ تقرأها، وما إنْ تصل إلى الفقرة التي تظهــر فيها الساحرة لسندريلا، حتى تغلقَ القصة، وتحلم بزيارة الساحرة كي تطلب منها هدية لأمها.

لــن يكــلّفَ طلــبي أكثر من كلمتَيْن تنفخُهما الســاحرة عــلى عصــاها لتكون هديتي موجودة: همستْ ساندي لنفسها بحزن، وعادتْ لتفتحَ القصة،

ثــم ارتفع صوتُها: أيتها الساحرة، أرجوكِ اخرجي مــن قصة سندريلا إليّ. لن أطلب منكِ غير كتاب لأمي، أو فستانٍ بسيط.

قــالت ســاندي وهــي تفــتح قصة سندريلا وتخــاطب الصــفحة التي رُسِمَت فيها الساحرة.. فجأة، تخرج الساحرة من الصفحة.

الســاحرة بفســتانها الجميل، وبتاجها الذهبي المُرصّــع باللؤلؤ والعقيق، وبصَولَجانها السحري تقف على طاولة ساندي المسحورة بحضورها. لا تُصــدّق ساندي ذلك، فتنظر إلى الصفحة، فتجدها بيضاء، فعلاً غادرتِ الساحرة مكانَها.

تدلك ساندي عينيْها قائلةً:

-هل أنتِ ساحرةٌ حقيقية؟

-أظنُّني كذلك يا عزيزتي، أتسمعين صوتي؟

-نعــم، أسمعكِ، وما دمتِ قد استجبتِ لي في

الحضور، فأرجوكِ أن تُلبّي لي طلباً بسيطاً.

-لقد خرجتُ لألبي لكِ طلبك:

قالت الساحرة وأشارت بصولجانها اللامع إلى علـبة ألوان ساندي، وإلى ورقة كرتون مقوى، ثم اختفت بالسرعة التي ظهرت فيها ذاتها.

حدّقت ساندي في الصفحة، فرأتِ الساحرة في مكانها تقف جامدة أمام سندريلا.

-أيـن الهديـة؟ صـاحت سـاندي في وجه الساحرة، ثم وضعتِ القصة على الطاولة وشرعَت تبكي..

لم تغادر الساحرة مكانها مرةً ثانية.

مسـحت ساندي دموعَها، وانتظرتِ الساحرة دون أمل.

بعد لحظات،

فكـرت سـاندي بإشارات صولجان الساحرة،

فقفــزت إلى علــبة الألــوان، أحضرتها مع ورقة الكرتون المقوى، وبدأت ترسم.. لم تنهض ساندي عــن طاولتها إلا بعدما رسمت وردة وقلباً وطفلة تُقدّم لأمها هدية.

ابتسمت ساندي للبطاقة التي أصبحت جاهزةً، وبعد منتصف الليل ذهبت إلى فراشها لتحلمَ بفرح أمها.

في الصباح،

ارتــدت ساندي ثيابها، حملت حقيبتها، وذهبت إلى المدرسة..

ها هي وصديقاتها في الاستراحة. تفتح ساندي حقيبتها، وتخرج البطاقة..

-أوه، ما أجملها يا ساندي، من أين اشتريتِها؟ بصوت واحد قالت صديقاتها.

-لم أشترِها، بل أنا التي صنعتُها.

-حقـــاً، أنـــت رسمتِها! يا لك من فنانة. قالت عنود.

-أنـــتِ لســـتِ مـــتفوقة فقط، بل أنت فنانة يا ساندي. قالت ندى وريما وعبيو وفاطمة.

ضـــحكت ســـاندي من كل قلبها لِما أنجزتْهُ، فضحكت معها صديقاتها.

-أقـــترح أن ترســـمي بطاقـــاتِ وتـــبيعيها يا ساندي. قالت عبير.

-فكرة جيدة. قالت فاطمة.

-وأنا أول من ستشتري منك يا ساندي. قالت ندى وهي تخرج من جيبها بضع أوراق نقدية.

عـــندئذٍ، أخرجتْ كلُّ صديقات ساندي أوراقاً نقدية.

عـــدّت ســـاندي النقود، فوجدتْها كافية لشراء فستان بسيط لأمها.

-أنا موافقة، وغداً سأحضر لكلٍ منكنَّ بطاقة.

لـــم تعـــرف ســـاندي كيـــف انتهى ذلك اليوم المدرسي، كما لم تعرفْ كيف كانت واقفةً أمام أحد المحلات، تنظر إلى الفساتينِ وأسعارها.. بين تلك الأزيـــاء تشاهد فستاناً مناسباً، فتدخل لتشتريه قائلة في نفسها:

اليوم سأصنع كثيراً من البطاقات، وسأرسمها بمهارة فنية بحيث تُعجَب بها زميلاتـي.

ســـاندي الآن تخـــرج من محلِّ الأزياء وهي فـــرحة بهديـــتها التي لم تدفعْ فيها كلَّ ما معها من نقـــود.. وبينما تركض في الشارع المليء بدكاكين الحـــلوى والملابـــس والألعاب، يُلفت نظرها دكان لـــبيع الـــورد، فـــتدخل وتشتري وردة جميلة، ثم تركض قاصدة البيت..

.. كـــانت حذرةً من السيارات، حذرةً من أنْ تصطدمَ بأحد المارة، حذرةً من أنْ تسقط..

تصل ساندي إلى البيت وهي تُنادي:

-ماما، ماما، كل عامٍ وأنت بخير.

لا أحد في البيت.

ليس من عادة والدة ساندي الخروج في مثل هذا الوقت من البيت.

-تُرى، أين أمي؟ صاحت ساندي وأجهشت في البكاء.

أكثر من ساعة وهي تنتظر. خطر على بالها أن تسأل الجيران عن أمها. للأسف جميع الجيران لم يروا والدتها طوال هذا اليوم.

عادت ساندي إلى البيت وهي تنادي بأعلى صوتها:

-ماما، ماما، أين أنتِ يا أمي؟

وما إنْ دخلتْ ساندي البيت حتى وجدتْ أمَّها ترتدي الفستان الذي اشترتهُ لها.

ركضت الفتاة إلى أمها ضاحكة.

أحضـــان الأم كانت أكثر دفئاً وجمالاً من كل حدائق الورد في العالم.

-كم هو جميل عليك. قالت ساندي.

-إنـــه جميـــل فقط لأنك أنتِ التي اختَرْتِهِ، يا روحي.

قبّـــلتْ ساندي يد والدتها، وذهبتْ إلى غرفتها لتُحضر بطاقتها التي رسمتها.

ها هي ساندي تعود حاملةً الوردة والبطاقة.

تُقبّلها أمُّها شاكرةً، وتقول:

-لماذا نسيت هديتي التي أحضرتُها لك؟

-عفواً أمي، لم أنتبهْ، أين هي؟

-هناك، على الطاولة.

تركض ساندي إلى هديتها المغلَّفة بورقٍ ملونٍ

لامــع. تفتح جزءاً من الغلاف، فتجد كتاباً، وبينما تستمرُ ساندي في خلْعِ الورق، تقول:

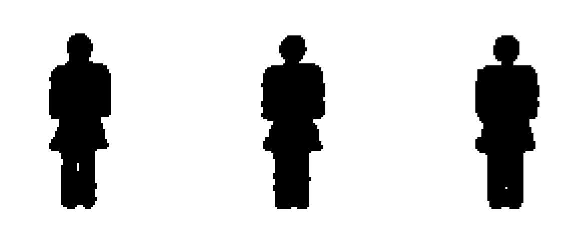
لم أتوقَّعْ أن يكون لي هدية في مثل هذا اليوم. يا لكِ من إنسانة رائعة يا أمي.

في هذه الأثناء،

تدخل الأم المطبخ لإعداد ما يلزم للاحتفال.

بينما ساندي تقفز من شدة الفرح وهي تقول:

-الله، ما أجمل هديتك يا أمي.. الله، مجموعة قصص بعنوان (الفصول المجنونة)..



النايُ والحوريّة

كان يا ما كان ...

في سالف العصر،

أو في هذا الزمان..

كانت هناك قريةٌ ساحليةٌ جميلة، يوقظها غناءُ الأطيار والعصافير والبلابل، وأشجارُها المتنوعة، اعـتادت على أصوات الحيوانات، وعلى أصوات الناس، وعلى هدير البحر ورائحتهِ المالحة.

..مشهدُ البحرِ رائعٌ في كل الأوقات، وفي كل

الفصول.. والأمواجُ دائماً تحمل المراكب...

لم ترجع شباكُ الصيادين، يوماً، بلا سمك.

وكانت في هذه القرية ابنةٌ وحيدة لأبوين فلاّحين، تقضي أوقاتها بين المدرسة والحقول والشاطئ.

وكلَّ صباح،

تستيقظ مع صياح الديك، تُطعم الدجاجات، وتعلف الغنم، ثم تذهب إلى المدرسة. وحين تعود، تتناول وجبة غذائها بسرعة، تكتب وظائفها... بعد ذلك، تلحق بوالديها إلى الحقل. وعندما لا تجد ما تساعدهما به، تحمل النايَ وتذهب إلى الشاطئ.. تلعب بالرمل والحصى. تصنع أشكالاً مختلفة.. وإذ تتعب، تجلس على الرمال القريبة من الموج، وتعزف على نايها ألحاناً مُحزنة حيناً، ومُفرحة حيناً آخر..

وفي أحد الأيام،

وحيدةً، جلست الفتاةُ على الشاطئ، وأصابعُها الناعمة تتحرك على فتحات الناي.. هنا، لحظةً ما قبلَ الغروب منعشة، والمراكب الراسية تميل مع الموجات، والمراكبُ البعيدةُ تغيب رويداً، رويداً، عن ناظريْها...

وبينما تعزف..، نُحسّها تُفكر بحكاية أُمّها التي رَوَتْها لها منذ فترة، حيث شابٌّ الحكايةِ أراد أن يصبح أغنى إنسانٍ في العالم، فلبّتْ رغبتَهُ جنيةٌ أو ساحرة، وجعلتْ من أناملهِ لغزاً، كان كل ما يلمسه يتحول ذهباً، حتى الخبزَ والطعام الذي سيأكله... تعزف وهي تقول في نفسها:

=أنا أكره الطمعَ والجشعَ والأنانيةَ وحُبَّ المالِ. وكلّ ما أريده أنْ أجد شيئاً في هذه الحياة يكون أهمّ من كل شيء. أعرف أنّ الأرض مهمّة، والبحرَ مهمّ، والطبيعة مهمة، لكنني أريد أن أكون

إنسانةً مهمّةً أكثر ممّا أنا عليه الآن.

تعزف الفتاة بكل حواسها وكأنها تعزف كلّ ما تفكر وتحلم به.

وبينما هي منسجمة مع الألحان والبحر وما يجول في نفسها، تشعر بصوت ما يناديها، لم يكن صوت أمها ولا أبيها.

-أنت.. هل تحبين المغامرات؟

-أوه، ما أجملكِ، أنتِ حورية البحر، أليس كذلك؟: سألتِ الفتاةُ، وهي تقفز نحو الموج.

-نعم، أنا حورية البحر، هل ترغبين برحلة إلى أعماق البحر؟

=بالتأكيد، لكنْ أرجوكِ أنْ أعودَ إلى هنا بعد ساعة، أخشى أنْ أُسبّبَ المتاعبَ لِوالديّ.

-لن تستغرق رحلتُنا أكثر من ساعة: قالت الحوريةُ الجميلة وهي تُبعد شعرَها عن جبينها،

وترفع ذيلَها فوق الماء، ثم تسبحُ مقتربةً من الفتاة التي غطّتْ نايَها بالرمل، ومشت حتى غمر الموجُ ركبتيها.

-هاتِ يدكِ: قالت الحورية للفتاة.

أعطتِ الفتاةُ يدَها للحورية التي ألبستْها خاتماً قائلة:

=لن تستطيعي الغوْصَ والعودةَ إلى مكانكِ إلاّ بهــذا الخــاتم الســحريّ، فانتــبهي جيداً، وكوني حريصةً عليه كإصبعٍ من أصابعك.

-يا لهُ من خاتم رائع: قالت الفتاة.

-هل أنتِ جاهزة؟: سألتها الحورية.

-هيا إلى أعماق البحر..

وضــعت الحورية أصابعَ إحدى يديها بأصابع إحــدى يــديّ الفتاة، ونزلتا تحت الموج. الأسماك بــزعانفها وألوانهــا وأحجامها المختلفة تمرُّ قرب

الصـــديقتين، وقــناديل الــبحر تضــمُّ أذرُعها ثم تبسطها.

الموج هادئ في الأعماق.

وصـــلت الحورية والفتاة إلى شِعاب مرجانية كثيفة وطويلة. مرجانٌ أبيض ومرجانٌ أحمر، بينما تمرّ أسماك صغيرة ملونة.

كـــلّ ما في البحر من مياه وحيوانات ونباتات، كـــان صـــديقا للحورية، يُسلّم عليها، ويسألها عن صحتها وأحوالها ويُرحّب بصديقتها الجديدة..

بين تلك الشِعاب المرجانية توجَدُ فسحةٌ تُنيرها محاراتٌ مفتوحةٌ. تجلس الحورية مع الفتاة في تلك الفســحةِ، فتفتح المحاراتُ أغلفتها وتُغلقها، وكأنها تعــزفُ ألحانَ الفتاة التي كانت تعزفها على نايها قبل وصولها إلى هذه الأعماق.

تضحك الفتاة، وتقول:

- إنها ألحاني.

تقول لها الصدفاتُ والحوريةُ:

-لولا هذه الألحان، لما كنتِ الآن بيننا.

نحـــن دعوناك لزيارتنا لأننا فهمنا ما تحلمين به.

لـــم تـــتوقّع الفتاة ذلك، ففرحتْ كثيراً، وقبّلتِ الحورية والمحارات.

- إليكِ هذه الأسهم الثلاثة وهذا القوس: قالت ملكةُ المحارَات.

مستغربةً، أخذتِ الفتاةُ القوسَ والأسْهُم.

-لا تخافي ولا تستغربي، فهذه الأشياء ستحقق حلمكِ: قالت الحورية.

-وكيف؟ سألت الفتاة.

بهدوء أجابت ملكة الأصداف:

-ستوصلك الحورية إلى كهفِ البحر، ستجدينَهُ مغلقاً بصخرة كبيرة، في الصخرة ثقبٌ، عليكِ أنْ تصيبي سهماً في ثقب الصخرة، ولديك ثلاث محاولات بعدد الأسهم، فإذا لم ينجحْ سهمكِ الأول، فستتحجَّرُ قدماك، وإنْ لم ينجح سهمك الثاني فسيتحجر جسمك حتى الصدرِ، وإنْ لم ينجح سهمك الثالث، فستتحجّرين كلّكِ، وستصبحين مستحاثّةً بحريّة.

-وإذا نجحتُ من السهم الأول: قالت الفتاة بتَحدٍّ.

-عندما تنجحين بأيِّ سهم من هذه الأسهم الثلاثة، فستبتعد الصخرة عن فوهة الكهف، وستدخلينه بسرعة، لتحضري ماهو موجود فيه.

-هل سأجد في الكهف حلمي وهو مختبئ مني؟ ما هذه الخرافة، لا، لا أريد أن أغامر، بل أريد أن أعود إلى الشاطئ. أُفضّل أن أعيش حياتي

مع أمي وأبي في قريتي الجميلة، لا أريد أن أصبح مســتحاثة بحــريّة: قالت الفتاة بعصبية، وهي تهمّ بالمغادرة.

لكن حورية البحر حاولت إقناعها:

-أنت شجاعة، ولا أظنك ستفشلين، كما أني لا أظنك ستهربين.

ترددت الفتاة، وحاولت استجماع قوتها لتسأل:

-ومــا الشــيء المهم الذي سأغامر من أجله بحياتي؟إذا كان مالاً، فأنا لا أريده.

=لا إنــه أهــم من كل شيء تفكرين به: قالت ملكة الأصداف.

فكّــرت الفتاة مليّاً.. وبكل إرادتها اختارتْ أنْ تتابعَ الطريقَ الذي يُوصلها إلى الحلم. قبلتِ الفتاةُ المغامرةَ وسبحتْ مع الحورية إلى الكهف البحريّ المتثــبّت بقــاعِ البحرِ كحوتٍ كبير. أمام صخرة

الكهــف عظامُ بشرٍ كثيرين، وأشخاصٌ متحجّرون كمستحاثات بحريةٍ، بعضها رخوٌ، وبعضها صلبٌ.

- آه، أيــتها الحورية، يبدو أنك خدعتِ أناساً كثيرين.

لوت الحورية ذيلها، وقفت أمام الفتاة معاتبة:

- أنــا لا أخــدع أصدقائي، أنت الوحيدة التي أتيت بها إلى هنا.

- هؤلاء المساكين المتحجرون؟: سألت الفتاة بقسوة.

- حضــرهم ســمك القــرش، وأغلــبهم من الصيادين الذين كانوا يرمون شباكهم، فيشدّها سمك القــرش، ويحضــرهم إلى هــنا، منهم من غرِق، فدفــناه، ومنهم من أعطته ملكةُ الأصداف الأسهم والقوسِ، علّه يستطيع الخروج والعودة. لم أكن أنا موجودةً في هذا البحر.

- صدفتك، فهل ستتركينني وتعودين، أم سأبدأ وأنت معي؟: بثقة قالت الفتاة.

- لأثبت لكِ طيبة قلبي وصدق نواياي، فأنا سأساعدك حتى لو تحجّرتِ.

- كيف؟ بانفراجٍ سألت الفتاة.

- هاتِ الخاتم.

- كيف أعطيك الخاتم الذي سيساعدني في العودة؟.

- إذا ظلّ الخاتم في إصبعِك فسيتحجّر معك، أمّا إذا كان معي وتحجّرتِ، فبمجرّد أن ألمسك به فسيتلاشى الحجر عنك، وتعودين كما أنتِ.

اقتنعت الفتاة بصدق الحورية وإخلاصها، فناولتها الخاتم، ووقفت كفارسٍ في مكان مناسب من ثقب صخرة الكهف.

وقبل أن تضع السهم الأول في القوس، نظرت

إلى المقبرة البشرية الراقدة في أعماق البحر.

وضـــعت السهم في القوس. حدّقت في الثقب، و.. أطــلقتْ... لكــنّ الســهمَ اصطدم بالصخرة، وسقط قرب جمجمة ما...

تحجّرتْ ساقا الفتاة.

وببطء، بدأ الدمع يتساقط من عينيها..

-لا تأبهي، هيا حاولي ثانية: تصرخ الحورية.

بشــجاعة، وضــعت الفــتاة السهم الثاني في القوس، وشدّته بقوّة، ثم أطلقته..

اصــطدم السهم بحافّة الثقب.. كاد يدخل، لكنه سقط، و.. تحجّر صدر الفتاة حتى إبطيها...

-اطمئــني، فالخــاتم سيعيدك: بفرح وتشجيع قالت الحورية.

هــذه المــرة، بفرح تطلق الفتاة سهمها الثالث

والأخيـــر، وإذْ بـــه يصـــيب الـــثقب..، فتتزحزح الصخرة العملاقة..، يذوب الحجر عن قدميّ الفتاة وصـــدرها، وقـــبل أنْ تدخـــل الفتاةُ الكهف، تُعيد الحورية الخاتمَ إليها قائلة:

-سندخل معاً.

تدخل الصديقتان الكهفَ البحريّ.

لـــم يكـــن فيـــه غيرُ صخورٍ ملوّنة، ونباتات مضيئة وغريبة.

لم تترك الحورية يدَ الفتاة.

وبعد مسافة، رأت الفتاة شيئاً، فصاحتْ:

- لقد وجدتُ حلمي.

عـــلى صدى صوتها، اجتمعتْ كائناتُ البحر مـــن ســـمك ومرجانٍ وسراخس، حتى المحارات وملكتهم، وكذلك قنافذ وقناديل البحر.

تحمـــل الفـــتاة ذاك الشيء اللامع، تحدق فيه،

فتراه قلماً ذهبياً، وبينما تتفحّص القلم، يأتيها صوتُ الحورية:

- الأجمل من الذهب في هذا القلم أنه يستطيع قــراءة أفكارنـــا، وإذا لم تصدّقي، فاضغطي الزرّ الأعلى في القلم، وستكتشفين كيف يقرأ ما تفكرين به الآن.

ومـــا إن تضغط الفتاة على الزرّ الأعلى للقلم، حتى ينطق:

- أنــتِ يـــا عزيزتي تفكرين كيف بوساطتي ستكتشفين وتفضحين المنافق والكاذب والغشاش.

بسرعة تقول الفتاة:

- صـــدقتَ يـــا عزيـــزي.. ففي هذه اللحظة بالذات، كنتُ أفكر بما قرأته لي.

- هل أدركتِ أين يكمن حلمكِ؟ أين تكمن أهم الأشياء في الحياة؟: سألت ملكة المحار.

- لقد أدركتُ أنّ العلم والعملَ والصدق والحرية أهمّ ما في الحياة.. شكراً لكم جميعاً..: قالت الفتاة العائدة مع كائنات البحر إلى السطح.

كان الجميع يرقص حولها، ويودّعها بمحبة.. كلهم كانوا راغبين بعودتها إليهم.

تصل الفتاة الشاطئ... تعيد الخاتم السحريّ إلى الحورية، تقبّلها، وتتفقان على زيارة أخرى.

رفعت الفتاة نايَها من الرمال، وركضت بسرعة عائدةً إلى بيتها، وبيدها القلم الذهبيّ الكاشف، الكاتب، والقارئ، بيدها أغلى وأهمّ شيء في هذه الحياة، لم تستغرقِ رحلةُ الفتاة في أعماق البحر أكثر من ساعة، لكنها قابلةٌ لأن تحكى على مدى الأيام.. أليس كذلك؟.



الخنساء في الحديقة

اعــتدنا أن نذهــب كــل يوم جمعة إلى مكان نختاره معاً. كأن نزور أقرباءنا، أو أصدقاءنا، أو نذهــب إلى منطقةٍ أثرية نتعرّفُ من خلالها على حضــارتنا، أو نقضي وقتاً جميلاً وممتعاً في مكان طبيعي قريب من مدينتنا..

وحيــنما تختــلف أســرتي على المكان الذي ســنذهب إليــه، نــلجأ للقرعة، كل فرد منا يكتب رغبته على قطعة ورق صغيرة ويطويها، ثم نخلط جميع الأوراق خلطاً عشوائياً، ونترك أصغرَ طفلة

في عائلتنا تسحب ورقةً من بين هذه الأوراق. وعلى الجميع القبول بالمكان المسجّل على هذه الورقة.

حدث واختلفنا في يوم الجمعة هذا.

أبي يريد الذهاب إلى بيت أخيه، وأمي تفضّل بيت أختها، وأخي (أيهم) يريد زيارة جدي وجدتي، وأنا أريد زيارة حديقة مدينتنا الكبيرة المسمّاة بـ (حديقة العظماء). وأختي (أحلام) مصرّة على القيام برحلة خارج المدينة.

كتب كلّ منا رغبته على ورقة صغيرة خلطتُ الأوراق، وقلت لصغيرتنا نسرين:

- اسحبي لنا ورقة.

- لي شرط: قالت نسرين..

سألناها جميعنا:

= وما هو؟.

ضاحكةً أجابت نسرين:

-على صاحب الورقة التي سأسحبها أنْ يشتري لي قطعة بسكويت وقطعة شوكولاته.

صحْنا جميعاً بفرح:

-موافقون.

أبصارنا مفتوحة على آخرها وهي تراقب يدَ نسرين التي أخذت إحدى الورقات المطوية وناولتها لأمّي.

لم تبتسم كثيراً أمي وهي تقرأ الورقة. هذا يعني أنّ رغبتها في المكان الذي اختارته لن تتحقق.

-ماذا في الورقة يا أمي؟: قلتُ أنا وأخي أيهم وأختي أحلام.

بصوت لطيف، قالت أمي:

-إنها رغبتك يا (آية).. حديقة العظماء.

بفرحٍ لا يوصف، قبّلتُ نسرين:

-هــاه.. هيه.. لكِ اليوم أطيب قطعة بسكويت وشوكولاته.

وبسرعة هائلة هرع كلّ منا ليرتدي ثيابه.

مامــا وبابــا وأخــي أيهم أصبحوا جاهزين.. ونســرين الواقفــة عــلى بــاب البيت الخارجي تستعجلنا:

-هيا يا آية ويا أحلام. لقد تأخّرنا.

بســرعة أخرجُ مع أحلام من الغرفة، وننطلق مع العائلة.

الطقــس معــتدل. وشــوارع المدينة مزدحمة بالسيارات وبالناس المنشغلين بعطلتهم.

نسرين تتوسّط أمي وأبي، ونحن نسير خلفهم. مــن شارع إلى آخر، ونحن نمزح ونضحك. وفي أحــد الطرقات استوقفنا زجاج محل ألعاب. كانت

خلف زجاج العرض دُمى كثيرة.. قطار صغير يدور حول سكته.. نمرٌ ورديّ يستند على سيارة كبيرة و(ميكي) يجلس رافعاً إحدى ذراعيه وكأنه يودّع الجميع. عروسٌ ترتدي فستانها الأبيض الفضفاض تقف وراء القطار الصغير وهي تفتح عينيها الزرقاوين. وفي إحدى الزوايا يركب جحا على حماره بهيئة مضحكة جداً. بينما في مساحة أخرى يقف ثلاثة أبطال من مسلسل الأطفال (افتح يا سمسم).. "أنيس" ممدد في سريره وكأنه يعدّ الخواريف كي ينام و"بدر" المسكين ينظر في وجه "كركور"..

- أوه.. إنه أنتَ يا أيهم: قلتُ لأخي وأنا أشير إلى كركور.

بعجل قال لي أيهم:

وذلك أنت يا آية.

ثم ضحك وهرب بعدما أشار إلى جحا وحماره.

ضحكنا جميعنا واجتزنا الشارع.

لم نشعر كيف وصلنا الحديقة..

فعـــلاً إنهـــا حديقة عظيمة.. بابُها منقسمٌ إلى نصـــفين: واحـــد للدخول، والثاني للخروج. أعمدة أســـطوانية تنتصـــب خـــلف الباب الكبير. مدخل مرمـــريّ عـــلى جنبيه أشجار ضخمة. الحشائش الطويـــلة تـــتمايل. ولونها الأخضر يتباهى بألوان الأزهـــار، مـــنها البنفسج، والأقحوان، والقرنفل، والشـــقائق، الزنبق، والياسمين الأبيض والأصفر، و.. روائـــح عطرية يختلط فيها عبيرُ الريحانِ مع عبير الورد مع روائح أشجار الزيزفون وهي تُدلّي أغصانها المزدهرة.

صوتُ مياه النوافير يضفي على الطبيعة جمالاً أخّاذاً..

زقـــزقة العصافير في كل مكان.. والفراشات تطير بخفّة عجيبة.

استقبلتنا الحديقة بمنحوتة حجرية، تقف كشخصية وقورة على قاعدة كتب عليها:

"تمثال الشيخ الرئيس ابن سينا".

انعطفنا نحو اليمين.. أطفال كثيرون يأتون بصحبة أهلهم لزيارة هذه الحديقة.

أيضاً، يجيء لزيارتها عربٌ وأجانب من مختلف البلدان.

نعبر مساحة أخرى نصب فيها تمثال الشاعر "أحمد بن الحسين" المشهور بـ (المتنبي). ورغم أنه منحوت من حجر، إلاَّ أننا شعرنا بالشرر الذي في عينيه وهو يتطلّع نحو السماء بكبرياء وفخر.

تمثال آخر يقابل تمثال المتنبي.. ولا يفصل بينهما غير مساحة عشب صغيرة، في وسطها نافورة ماء. هذا التمثال يقف أمام تمثال المتنبي متحدّياً.. وكلماتُ قاعدته تقول: الشاعر (الحارث

بـــن ســـعيد الحمدانـــي) المـــلقّب بـــ (أبو فراس الحمداني)..

كل شيء في هذه الحديقة يكاد ينطق..

مازلنا نمشي وكأننا في زمن آخر...

من هذا السحر، يأتينا صوت والدي:

-فـــي زيارتـــنا السابقة تحدّثنا عن حياة (ابن ســـينا) و (المتنبي) و(أبو فراس الحمداني)... وها نحـــن اليوم نقف أمام تمثال امرأة عظيمة عاشت جـــزءاً مـــن حياتهـــا في عصر ما قبل الإسلام، وقضـــت الجـــزء الأخيـــر مـــن عمرها في عهد الإسلام.

تمثال المرأة ينتصب بشموخ حزين.

قالت أمي:

- لا تقرؤوا بعيونكم، إقرأ لنا يا أيهم المكتوب على قاعدة التمثال.

يرفع أيهم صوته قارئاً:

=الشاعرة (تماضر بنت عمرو الشريد) الملقبة بـ (الخنساء)..

-سنتعرف اليوم على الخنساء كشاعرة وأمّ وأخت، قال أبي وتابع:

-كما قرأتم، فإنّ اسمها (تماضر) ونسبها يرجع إلى قبيلة (مضر) العربية. كانت امرأة ذكية. تتمتع بنسب وجمال وأخلاق عالية، ولشخصيتها المتفردة، المتصفة بالشجاعة والصدق والإخلاص والبلاغة، خطبها كثيرٌ من الفرسان، منهم الشاعر (دريد بن الصمّة)، لكنها لم تقبل بغير ابن عمها (رواحة بن عبد العزيز السلّمي) الذي أنجبت منه أربعة فرسان استشهدوا في معركة (القادسية) التي قادها البطل (سعد بن أبي وقاص).

يصمت والدي قليلاً، وكأنه يسترجع صدى تلك

الحـــرب الـــتي انـــتهت بانتصار جيش (سعد) على الفرس.

تستغلّ أمي سكوت أبي وتقول:

- مـــا تـــزال الخنساء رمزاً للأخوة، فلقد رثت أخاها صخراً بأبيات يبكي معها الحجر:

يذكّـــرني طـــلوع الشمس صخراً

وأذكـــرهُ لكـــلّ غـــروب شـــمسِ

ولـــولا كـــثرةُ الـــباكين حولـــي

عـــلى إخوانهـــم لقتـــلتُ نفســـي

ومـــا يـــبكون مـــثل أخـــي ولكنْ

أعـــزّي الـــنفس عـــنه بالتأسّـــي

ومـــع آخـــر كلمة أنشدتها أمي، نسمع صوت حـــركة غريبة تصدر من تمثال الخنساء.. بتعجب تقول أحلام:

-انظــروا.. دمعٌ.. نعم دمعٌ يتساقط من عينيّ التمثال..

وبيــنما نحدّق لنتأكّد مما قالته أحلام، لا ندري كيــف حــرك التمثال يده، ومسح دموعه، ثم تكلم معنا:

-يســعدني أنّ عصركم لم ينسني. أنا فخورة بكم مثلما أنتم فخورون بي. لن أدعِكم تبحثون عن سـيرتي فــي بطون الكتب، سأخفف عنكم بعض الوقتِ والجهد، فهل تقبلون؟

باندهاشٍ أجبناها:

-وكيف لا نقبل..

-فــي فــترة ما قبل الإسلام، أو ما تُسمّى بــ (الجاهــلية)، فقــدتُ أخي صخراً ومعاوية نتيجة عــادات الــثأر التي كانت منتشرة في تلك الأيام. كــنتُ أحــبهما كثيراً، وكانا يحبّانني كثيراً، وبعد

موتهما ساءت حالتي، حتى دعاني، يوماً، عمر بن الخطاب (رض)، وقال لي معاتباً:

-ألا تعلمين أنّ أخويك في النار؟.

قلتُ:

-ذاك أطول لحزني، كنت أبكي لهما من الثار، وأنا اليوم أبكي لهما من النار.

شهق تمثال الخنساء بألمٍ، وامتلأت محاجره بالدموع.

مسحت أمي عيني التمثال بمنديلها الورقيّ قائلة:

-عليك أن لا تحزني إلى هذه الدرجة.. وتذكّري أبناءك الأربعة الذين قاتلوا بمنتهى الشجاعة إلى أن ماتوا جميعاً بعدما أبلوا بلاء حسناً في ساح الحرب التي انتصر فيها المسلمون. أتمنى أن نسمع ما قلته لأولادك قبل ذهابهم إلى المعركة.

يستجمع تمثال الخنساء رباطة جأشه، فيصدح صــوت الخنســاء بأمومــةٍ حريصة على الإسلام ونصرته:

- يــا بَــنِيّ، إنكــم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، فإذا ما أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين، فــأعدّوا إلى قتال عدوّكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين.

ازداد خفقان قلب التمثال، وتعالت نبرة صوته القادمة من تلك السنين:

- واستشهد أبنائي الأربعة. وحين بلغني خبر استشهادهم، قلت بكل صبر وحكمة الحمد لله الذي شــرّفني باستشهادهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقرّ رحمته.

يقــول تمــثال الخنســاء ذلك وهو يبسط كفّيه للســماء، فأبســط أنا وأسرتي أكفّنا للسماء، ندعو ونحمد الله.

وحالما يخفض التمثال يديه، يسألنا:

- هل تعرفون شيئاً عن سوق (عكاظ)؟.

أخـــاف أن يســـبقني أبي أو أمي في الإجابة، فأسرع قائلة:

- فـــي ذاك السوق كان يجتمع الشعراء لإلقاء قصائدهم متنافسين.

بإعجاب يسألني التمثال:

- ما اسمك؟

بافتخار أجيب:

-اسمي آية.

-اسم جميل مثل إجابتك. من أين لك مثل هذه المعـــلومة؟ هـــل اكتســـبتها من المدرسة، أم من مطالعاتك، أم من والديك؟

-مـــن المدرســـة.. كما أنني أعلم بأنك زرت سوق عكاظ وأنشدت فيه (النابغة الذبياني) الشاعر

الذي كان يأتيه الشعراء لإلقاء قصائدهم أمامه كي يسمعوا رأيه في أشعارهم.

-ما دمتِ تعلمين يا آية، فماذا كان رأي الشاعر (النابغة) في قصائدي؟

-بعدما سمعكِ، أشار بيده إلى الشاعر (الأعشى) الملقب بـ (أبي بصير)، ثم قال: لولا أنّ أبا بصير أنشدني آنفاً، لقلتُ إنكِ أشعر منه.

ضحك تمثال الخنساء، وانحنى وقبّلني، قائلاً:

-ما أروعك يا عزيزتي آية.

ثم صفّق لي التمثال، فصفق جميع أفراد عائلتي..

وبمودّةٍ قال والدي:

-هناك شهادة أخرى من شاعر آخر قالها بعد وفاتك، أظنّك لم تسمعي بها.

بلهفةٍ قال تمثال الخنساء:

-مــن فضلك أخبرني باسم الشاعر وأسمعني رأيه.

قال أبي:

-اســمه (جرير). ولقد سئل هذا الشاعر مرّةً: من أشعر الناس؟ فقال: أنا.. لولا الخنساء.

دمعت من الفرح عينا التمثال وقال:

=أيعقل هذا؟

بانفعال قال أبي:

-وكيــف لا يعقــل.. كفاك تواضعاً يا إنسانتنا العظيمة. فحتى الآن، والشعراء يذكرونك.. ثم، ألم يكــن رســول الله (ص) معجــباً بشعرك، وكان يستنشدك قائلاً:

(هيه يا خناس) ويومئ بيده مستزيداً...

تقشعرّ حجارة التمثال وقلبه.. تقشعرّ جلودنا..

وبعد هنيهة،

يتسرّب صوت أمي:

-تروى الكتب، أنه عندما جاء (عديّ بن حاتم الطـائي) مـع أخته (سفّانة) إلى رسول الله (ص) ليدخـلا في دين الله، قال عديّ: يا رسول الله، إن فيـنا أشعرَ الناس، وأسخى الناس، وأفرس الناس، فقال (ص): سمّهم. فأجاب عُديّ: أما أشعر الناس فـ (امرؤ القيس بن حُجر)، وأما أسخى الناس، فـ (حـاتم بن سعد الطائي)، يقصد عُديّ والده- وأما أفرس الناس فـ (عمرو بن معد يكرب).

فقـال رسـول الله (ص): ليـس كما قلت يا عُديّ.. أمّا أشعر الناس فالخنساء بنت عمرو، وأمّا أسـخى الـناس فمحمد (يعني نفسه)، وأمّا أفرس الناس فعليّ بن أبي طالب.

بعدمـا صـمتت أمي، هدأ التمثال وفي عينيه تجمّدت دمعتان..

اختـفت حـركة التمثال، ولم يعد أمامنا سوى

منحوتةٍ حجرية ترمز للخنساء.

بحزنٍ سألت أبي:

-بابا، هل صمت التمثال إلى الأبد؟.

حضنني أبي بحنان وقال:

-لا تحزني يا آية. لن تصمت الخنساء ما دام هناك أناسٌ يذكرونها، ويحفظون أشعارها.. كفى اليوم، وهيا بنا لنعود.

نودع تمثال الخنساء، ونسير في ممرات الحديقة.

تركض نسرين وراء فراشة بيضاء، ثم تقف متذكرة:

-متى ستشتري لي البسكويت والشوكولاته، آية؟

تطمئنها أمي:

-حالما نخرج من الحديقة، سنذهب لشراء ما

ترغبون بأكله.

نقطع القنطرة الضخمة، ونلتف كحلقةٍ حول أبي الذي يقول:

-بعد كل هذه الحياة المحزنة، والمشرقة بالصبر والتضحية والشعر، غادرت الخنساء إلى البادية، حيث قضت بقية عمرها وهي تنشر تعاليم الإسلام، إلى أن توفّاها الله عام (24هـ) في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وعنها.

-الله ما أجمل حياة الخنساء رغم ما فيها من آلام: قالت أختي أحلام وأمسكت يد والدي، ومشيا أمامنا في طرقات الحديقة..

بين مسافة وأخرى، يظهر لنا تمثالٌ لإنسانٍ عظيم، تقول أمي:

-لابدّ من أن نتعرّف عليهم في زيارات لاحقة.

في هذه اللحظة،

كنّا قد وصلنا إلى الأعمدة الأسطوانية الكبيرة، وسـنغادر حديقة العظماء من باب الخروج.. بعد قليل،

سيحلّ الغروب..

وسينشـد مـع الأشجار والأزهار والأعشاب والتمثال:

يذكّـرني طـلوع الشـمس صـخراً

وأذكـرهُ لكـلِّ غـروبِ شـمسِ

ما زال تمثال الخنساء منتصباً في الحديقة..

مازال الغروب، وكلّما زارَ الأرضَ، يُنشد...:

ولـولا كـثرةُ الـباكين حولـي

عـلى إخوانهـم لقتـلتُ نفسـي



هل ترحل مع السنونو؟

(1)

سنونوة مرتجفة تخرج الآن من صفحات قصة (السنونو وتمثال الأمير).

من فضلك، ساعدها وجفّف ريشها من المطر.

أحضرت منشفة، وجفّفت ريش السنونوة، ثم.. أجلستها في حضنك تدفئها.

تبتسم السنونوة بصعوبة، وتخاطبك:

-أشكرك أيها الطفل اللطيف.

فتقول لها:

-أعرف أنكِ آتيةٌ الآن من مكانٍ بعيد انتصب فيه تمثال أمير لم يعرف كيف يعيش شعبه إلاّ بعدما مات، فطلب منك تمثاله أن تعطي عينيه وجواهر سيفه وكلّ ما رصّعوه به لعائلات فقيرة، لكن ما أذكره أنّ تلك السنونوة لم تستطع اللحاق بسربها، فماتت في ذاك الشتاء قرب قدميّ تمثال الأمير.. كم كنت نبيلةً ورائعة.. تهزّ السنونوة رأسها وجناحيها وتنفض ريشها قائلة:

-مثلما عادت روح الأمير إلى تمثاله، شعرت بعد كلّ هذه السنوات أنّ روحي عادت إليّ.. وكم أخشى أن أموت قبل أن أسرد لك ما جئت من أجله.

تمسح رأس السنونوة بيدك، وتسألها:

-هل تشعرين بالبرد؟ هل أحضر لك غطاء؟

- كلا، لا أريد غطاء، فأنا مرتاحة في حضنك وأشعر بدفء عارم.

- أرجوكِ لا تموتي: قلت لها بخوف وحزن وحنان.

- وأيّ كائن حيٍّ قادر على أن لا يموت؟

تتأمّل سؤال الموت الذي سمعته منها، وبعد لحظةٍ تجيب:

- ربما يستطيع الكائن الحيّ أن يحيا بعد موته بعملٍ صالح وبذكرٍ جميل.

- أيهما تفضّل أن تكون: شهيداً، أم كاتباً؟.

- الشهيد يبقى خالداً، والكاتب كذلك تبقيه كلماته خالداً.. المقارنة صعبة، فكلاهما يحبّ وطنه، لكنني ولو كنت كاتباً لفضلّت الشهادة حين يكون وطني في خطر.

ترفرف السنونوة بجناحيها قليلاً وهي سعيدة

بإجابتك، وتقول:

- غيّرت رأيي، لن أسرد لك الحكاية.

- لماذا؟: مبهوتاً تسألها.

- لأنـــني سآخذك معي حيث تنتظرنا أحداث القصة.

- هل أخبر أمي وأبي؟.

- أظنهما لن يسمحا لك بذلك.

- ربما يسمحان لي.

كـــان الـــليل يغمر مدينتك.. أصوات سيارات قليـــلة تعبر الشوارع.. معظم نوافذ البيوت مطفأة الإنـــارة.. والنســـائم تحفّ بالأشجار، فلا يعرف الهواء النوم ولا القمر يحلم بأنْ ينام..

(2)

تصـــل غـــرفة نـــوم أمـــك وأبيك، تنقر على

الـــباب..تك.. تك.. لا يجيبان. ماذا أفعل؟: تهمس فـــي نفســـك، وتعود إلى السنونوة التي تركتها في سريرك قائلاً بألم:

-إنهما نائمان.

-اكتب لهما ورقة.

تكتب جملة وحيدة (والديّ العزيزين، لا تقلقا، لقــد ذهــبت مــع الســنونوة)، تضع الورقة على الوسادة، وتغطّي جزءاً منها كي لا تطير أو تسقط أو.. وبعدما تدمدم وتنفخ عليك السنونوة، تقول لك:

-الآن، باســتطاعتك أن تصبح أيّ كائن تريد، ولك التصرّف في هيئتك حسب احتياجات الموقف. هيــا تحــول. فقط انوِ على الكائن وتخيّله، لتصبح هو. كنت ذكياً جداً، لذلك نويت أن تكون سنونوة، وما أن تخيّلت ذلك، حتى أصبحتما سنونوتين تميز بينكما نقطة ريشٍ أبيض تتوسط جبينك.

وتحــلقان بعيداً في هذا الفضاء الليلي الرائع..

كانت مدينتك تتلألأ كجوهرة مسحورة.

تحلقان بسرعة، وعندما تصلان إلى مكان خالٍ إلاّ من أصواتٍ غريبة، تقول لكَ السنونوة:

-اسمحْ لي بأنْ أعصب عينيك.

-مـــن أين أتيتِ بهذه القطعة القماشية؟ ولماذا ستعصبين عينيّ؟

أخـــذت القطعـــة من غرفتك وسأعصد عينيك كلما احتاج الأمر، فهل توافق؟

-لكِ ذلك.

قلت بهدوء، واستدرت..

عصبتِ السنونوة عينيك وأمسكت بجناحك، ولم تشـــعر إلاّ وكأنك تهوي إلى بطن الأرض. شعورك كان صادقاً، فالسنونوة أخذتك إلى بلاد الجان.

وهـــناك تحـــت الأرض فكّت عينيك، فرأيت قصـــوراً ذهبيةً ذات قباب، ومن كل جهاتها تحيط بها المياه.

كان المشهد كجزيرة ذهبٍ متحركة..

جـنياتٌ تسـبح في المياه.. جنياتٌ تجلس في المراكب..

جنياتٌ ترقص على الشواطئ وفي القصور..

جـنياتٌ تغـني وهـي تحمل كؤوساً وأباريق وشموعاً، وورداً وطعاماً.

- أترى ذلك القصر الكبير؟: سألتك السنونوة.

كـان القصـر الكبير يتوسط القصور، وقبّته مرصّعةٌ، إضافةً للذهب، بمختلف أنواع الجواهر، كالزمّرد والعقيق والياقوت والماس واللؤلؤ.

- نعـم أراه: أجبـتها مدهوشاً بما تراه عيناك أول مرة.

- لماذا ترد عليّ ببطء؟ هل غرّتك المظاهر؟

- آسف، اعذريني.

-هـناك، في قاعة القصر الكبرى، يوجد بابٌ

سـريّ بهيئة بلاطةٍ زرقاء، ارفعها، وانزل الدرج المـؤدّي إلي سرادب معتم، في نهايته سجنٌ، في السجن امرأةٌ، حاول أن تخلّصها، فإذا ما وصلت، ارفـعْ حجـرة الحـائط المواجه لقضبان الغرفة المسـجونة فيهـا، ودعهـا تصعد معك المركب، لنوصلها إلى بيتها في مدينتها.

- وما قصة هذه المرأة؟

-إنهـا امرأة فقيرة، قالت لحاكم مدينتها: إنك ظـالم، فطلب من ملك الجان الأحمر والأزرق أنْ يعذّبهـا ويسجنها كي لا ترفع صوتها بعد ذلك بأية كلمة حق.

-وكيـف سـتعيدينها إلى مدينتها ما دامَ الأمر كذلك...؟..

-لقـد ثـار الشعب على الحاكم وقتلوه وصار حاكمـاً للمدينة الآن أحد أبنائها الذي لا يعرف أين أمه.

تنوي وتتخيل، فتتحول إلى جنيّة.

وقبل أن تسرع إلى المياه لتسبح، يأتيك صوت السنونوة:

-لا تـنس أن ذلـك يجب أن يتمّ خلال عشر دقائق. .

ترمي نفسك في المياه، وتسبح، تصل الشاطئ، ولا جنيّةً من هؤلاء الجنيات تنتبه لوجودك. تدخل بوّابةً كبيرة.. تعبرها بأمان. تتعطف يميناً ثم يساراً وإذ بك تسمع صوت إحدى الجنيات:

-أشمّ رائحة أنسيّ هنا.

تردّ عليها:

-وأيّ إنسيّ يجرؤ على الوصول إلى هنا؟.

ثم تبتعد مسرعاً، وتدخل القاعة الكبيرة. كانت فارغـةً إلاّ من مائدةٍ عامرة فيها كل ما طاب ولذّ. تـرفع الـبلاطة الـزّرقاء، تـنزل درجةً ثم تغلق

البلاطة، تقفز على الدرج المضاء بقناديل وقناديل، تركض إلى نهاية السرداب المزيّن بشمعدانات مصنوعة من الذهب بشكل يشبه رأس ملك الجانّ الأحمر والأزرق، تصل نهاية السرداب حيث غرفة السجينة وعلى بابها جنيّةٌ تحرسها، ولتتخلّص منها، تقول لها:

- بعد قليل سيبدأ الاحتفال. جئت لأقف مكانك قليلاً ريثما تشاركينهم بعض الوقت.

- آوه، ما أروعك، منذ زمن لم يتذكّرني أحد. هل أنتِ جادّة فيما تقولين؟: قالت لك الجنيّة الحارسة.

- نعم، فأنا أحبّك، وبعدما أنهيت التزاماتي، قلت آخذ مكانك، وأنت تذهبين للطعام والشراب والغناء والرقص.

تركض الجنيّة بفرحٍ، وصدى خطواتها يغيب، كأنها صعدت الدرج، وفتحت البلاطة الزرقاء،

وأصبحت في القاعة الكبيرة.

حيـنما تشـعر بالأمان، تنوي وتتخيل فراشةً، تصير فراشةً قادرةً على العبور من بين القضبان، تـرف فوق رأس المرأة الواهنة، المصفرّة، فتفرح بوجودك، وتتساءل:

- أيعقل أن يكون في هذا المكان فراشة؟ لابدّ وأنها إحدى الجنيّات جاءت لتعذّبني.

تنوي وتتخيل، فتظهر أمامه بهيئتك البشرية.. كادت تصرخ لو لم تقل لها:

- أرجوك مليكتي لا ترفعي صوتك، فنبقى هنا سويّةً.

- من أنتَ؟

- لا وقت لدينا، بعدما أنقذك، سأخبرك. وكلّ ما أرجوه منك أن تلزمي الصمت. تنوي وتتخيل، فتـتحول إلى فأس يضرب الحجرة أربع ضربات

مــن حوافها الأربعة. مكان الحجرة يتّسع بصعوبة لامــرأة ضــعيفة. تنوي وتتخيل متحولا إلى ريحٍ تدفــع المــرأة إلى المــركب الذي تنتظركما فيه السنونوة. تنفخ على الحجرة، فتعود إلى مكانها، ثم تــنفخ عــلى المــركب حتى يقطع المياه المحيطة بقصــور الجــان. وما إن تصل إلى مياه بحرٍ من بحورِ الأرض، حتى تحوّل نفسك إلى حوتٍ يسبح حاملاً المركب. توصلان المرأة إلى مدينتها بعدما أخــبرتها الســنونوة في الطريق عن مآل الأمور وأرشدتها إلى بيت ابنها الحاكم.

تقول المرأة وهي تقف على الشاطئ:

-أرجوكمــا اذهــبا معــي، وأقيما في القصر معنا..

-ليتنا نستطيع.. نتمنى لكِ كلّ الخير.

كــانت دموع المرأة تغمر وجهها، فهي لم تعد تعرف أهذا حلمٌ أم حقيقية..

المرأة تركض إلى المدينة..

وأنـــتما تحـــلّقان فـــرحين لأنكما أنقذتما هذه الإنسانة المسكينة.

(3)

-إلى أيـــن تـــريد الذهـــاب الآن؟: ســـألتك السنونوة.

ترفّ بجناحيك أكثر، وتقرّب منقارك من أذنها قائلاً:

-أريد التحليق في فضاء مدينة السلام.

وبغمضـــة عيـــنٍ، تصـــلان إلى بغداد، مدينة السلام..

هنا.. لماذا الهواء ملوّثٌ بروائح البارود؟ لماذا الدّمـــار منتشرٌ في كل مكان؟ لا كهرباء، لا ماء، ولا غذاء.. معظم الأبنية خرابٌ وأنقاض... أطفالٌ يبكون..

أطفالٌ مشرّدون..

وأطفــالٌ بيــن الأنقاض يلوحون بأيديهم لكما ويقولون متحسّرين:

-ليــت هاتين السنونوتين تحملان سلامنا إلى كل الأطفال.

تخفيان دموعكما، وتتجهان إلى فلسطين...

كــانت الأراضـــي هــناك، من كل أعماقها، تصرخ:

- لا أريــد هذه البيوت المسبقة الصنع، حتى دود تربــتي يرفضها ويتمنى لو يستطيع أن ينخر حجارتها. كان صدري متخماً بجذور الحمضيات، بعــرائش الياســمين، بكروم، العنب.. وكان قلبي يضــخ المحــبة لجميــع الذين قذفوهم مع بيوتهم. اســمعوا حجارة البيوت المحروقة والمهدّمة كيف تــنادي مــن كــان يسكنها..إنها تناديهم شخصاً،

شخصاً، إنها لا تنسى أسماءهم أبداً.

رعشـــة صوتها تغلغلت ريشكما مثل أصوات الأطفال الحاملين بأيديهم الحجارة..

كيف للحجارة أن تضاهي أسلحة العدو؟

تعــرّجان إلى لبــنان. كــانت المسافات بغتةً تشــتعل بنيران القذائف، فتسقط أبنيةٌ ويموت كثيرٌ من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال.

تهــربان مــن القصف وأنتما تصيحان وسط غبار الحرب والشظايا:

- يــا أطفــال فلســطين والعراق ولبنان، كل أطفــال العرب والعالم يسلمون عليكم ويدعون لكم بالنصــر والحــرية.. فلــتعش جراحكم ودماؤكم الأبيّة..

ترفّان بعيداً عن أصوات الانفجارات ومشاهد الرَعب -لكنْ بعض قطراتٍ حارّة تسقَط على أحد

جناحيك.. لقد جرحت السنونوة..

- يـــا إلهي، اهبطي على هذه الهضبة لأضمّد جرحك.

كنــتما نزلتما على هضبة قريبة من الجولان السورية

= أين قطعة القماش التي عصبت بها عينيّ؟

-هــنـا: تقــول الســنونوة وهي تكابر جرحها وآلامها.

تتــناول قطعـــة القماش الملفوفة على رقبتها، وتــتذكّر أنّ عليك تطهير الجرح أولاً.. تطير إلى أقــرب نــبع ماء، وتتحول إلى كنغر، تملأ جيبك بالمـــاء، وتــرجع بقفزات طويلة وسريعة، تغسل جرح السنونوة، ثم تضمّده...

هــي تــرتاح... وأنت تتحول إلى سنونوة... وتعودان للتحليق.

(4)

-هـل نسـير فـي طـريق مدينتي؟: سألت السنونوة الجريحة.

بصوتٍ لا يخلو من الأنين، تقول السنونوة:

-سـآخذك في رحلة قصيرة إلى أثرٍ من آثار بلادك.. إختر إلى أين تريد الذهاب: إلى أهرامات مصر؟ أم إلى قلعة حلب؟ أم إلى بتراء الأردن؟ أم إلى غار حراء؟ أم..

-كـل ما ذكرته أحبّ مشاهدته، لكنّني أرغب كثيراً في زيارة الأهرامات.

مـراكب عديـدةٌ كـانت تسير في نهر النيل الأسطوريّ.

ما زال القمر يضيء مصر كساحرٍ قديم.

مـازالت القاهرة تضجّ بالحركة، والاسكندرية تتحدث مع البحر الأبيض المتوسط.

ومــا زالــت الجيزة تجلس مثل امرأةٍ عجوز تحضن الأهرامات وأبا الهول.

تطيــران فــوق صــحراء الأهرامات. تتعب السنونوة وتقول لك:

-هيا نسترح قليلاً على سنام هذا الجمل.

أنــتما الآن ســنونوتان جميلــتان وغريبــتان يحمــلهما الجمل المزيّن بزينةٍ تراثيّة، ويمشي في هذه الصحراء..

كــأنّ الأهــرامات، هنا، لا تصمت عن سرد ســيرة الفراعــنة، والــرياح والرمال الحارّة تنقل كلامها إلى أبي الهول الذي يهزّ بين فينةٍ وأخرى.

أســرار كــثيرة مدفونــةٌ في هذه الأهرامات، ومفاتيحهــا مــا زالت في زمنٍ مضى، وفي عيني أبــي الهــول، وفــي الحكايــا التي لا تنطق بها الصــحراء للمقيمين والزائرين. كان السائحون من

عرب وأجانب يتصورون مع هذا التاريخ العريق.
واحـــدٌ منهم رغب بصورة مع الجمل الذي تقفان على سنامه.

- هـــل نطير؟: تستفهم من السنونوة التي تهزّ رأسها كإشارة إلى عدم الطيران.

تـــأتي سائحةٌ أخرى لتستأجر الجمل، فتلكزك السنونوة بجناحها وتقول:

- هيا.. ألم تكتف بهذه الزيارة؟.

- أرجوك، دعينا هنا بضعة أيام.. أريد رؤية الرسوم والنقوش، المعابد، والمومياءات

- مـــاذا..؟ وأهلك؟ هيا لقد تأخرنا.. ألا ترى كيف بدأت الشمس تلد شروقاً جديداً؟

كانت الشمس الحمراء المحاطة بهالةٍ برتقاليّةٍ تشـــقّ طـــريقها عـــبر السماء الكحليّة والزرقاء، وتزور آثار الجيزة.

بغتةً، تسأل السنونوة:

- هل أستطيع أن أتحول إلى شمس؟

- لماذا؟

- كـــي أشرق كلّ يوم على وطني كله، على الأرض كـــلها، فأظهـــر للـــناس الطيبين، وأختفي ســـنوات عـــن الـــناس الظالمين حتى يثوبوا إلى رشدهم أو يموتوا.

تضحك السنونوة وتقول:

- لا تســـتطيع ذلك، فممنوع عليك أن تتحول إلى نجـــم أو قمـــرٍ أو شمس، فقط بإمكانك التحول إلى أشياء وكائنات الأرض.

تتحاوران، وتقطعان المسافات بسرعة.

لـــم تشـــعرا كيف عدتما إلى بيتك، عدتما قبل صباح ذلك اليوم بقليل..

(5)

تدخلان من النافذة التي خرجتما منها.

تجلس السنونوة على سريرك.

تنوي وتتخيّل أن تعود إلى هيئتك الإنسانية...

عدت إلى ذاك الطفل الجميل.. طويت الورقة التي كتبتها لوالديك، وضعتها على طاولتك، ثم تمددّت على سريرِك قرب السنونوة التي دمدمت ونفخت عليك ساحبةً منك طاقة التحوّل..

وعندما نمت، غطّتك السنونوة كما تغطّيك أمّك، ورفرفت لتغيب تحت الكلمات.

-لن تموت هذه المرة السنونوةَ:

جاءك صوتٌ غامضٌ في الحلم.

يتكرر الصوت في حلمك، فترى نفسك تسأل:

-أحقاً؟ لكن كيف وكل نفسٍ ذائقة الموت؟

- لن تموت السنونوة لأنك والكثير من الأطفال معك، ستقرؤون قصة السنونوة بشوقٍ دائم.

هامش:

- مــازال صــوتٌ غير مفهوم يأتي من مكان بعيد، من جبلٍ، أو من مغارةٍ، أو من بئر.. ربما أسمعه وحدي، لذلكَ سأترجم لكم ما يقول:

- أطفــالي الأعــزّاء، انتــبهوا، فطيفي يرفّ تحت كلّ السطور.

- هل أخبركم أم أنكم حزرتم؟.

تقولون:

- عرفنا.. إنه طيف السنونوة.

- بــالفعل إنـــه طيف السنونوة، فلا تمسكوا ريشها، بل اتبعوها إلى أول الحكاية.

البلبل والساحر

هناك،

في تلك الغابة السحرية،

كـــانت العصافير تزقزق، والضفادع تتواثب، والأشجار المتنوعة تنتصب بشموخ، والنهر يمشي مـــع مياهه ليسقي الغابة، والبحيرة الواسعة تتسلى مع الإوزّ والبطّ والبجع..

في تلك الغابة السحرية،

كـــانت الســـناجبُ تتســـلّق أشـــجار البلوط،

والفراشات ترفُّ، والنملُ يعمل مثل جيشٍ دؤوب، والنحلُ يئزُّ بين مختلفِ الأزهار.

حيوانـــاتِ هـــذه الغابـــةِ كلها ونباتاتها كانت مُتصادقةً ومُتحابّة.

وذات يوم،

جـــاء إلى هذه الغابة ساحرٌ كان قد ربط شابّاً بحبالٍ قوية إلى إحدى شجرات البلوط.

أخرجَ الساحر منديلاً وصحناً ووضعَ فيه بعض النـــباتات الغريـــبة، ثـــم رشَّ فوقها موادَّ حمراء وزرقاء وصفراء، ثم أشعلَ ما وضعه في الصحن.

وحين هدأتِ النار، وضع الساحر المنديل فوق الصـــحن، غطى أجزاءه كلها وهو يدمدمُ بكلماتٍ غير مفهومة.

هيئة الشاب تدلّ على أنه أميرُ ما...

السناجب الآن خائفة..

والأشجار صامتة تنتظر ما سيحدث..

أنـــهى الســـاحر شعوذته، حمل الصحْنَ بِيدَيْهِ، وبضحكةٍ خبيثة قال للأمير:

-دعْــنا نَــرَ بعـــد الآن كيف ستُنافسني على الزواج من الأميرة؟

بسخريةٍ، قال الأمير:

-أتظــنُّ أنَّ أميرتي ستقبل برُجلٍ مثلك ليكون زوجاً لها. أنت مجرّدُ ساحرٍ، حاقد، ولئيمٍ، وحاسد، وشرّير.

ردّ الساحرُ بكراهيةَ:

-دْعنا نرَ ما يفيدك كرمكَ وشجاعتك وأخلاقك وأنت في هذا الموقف.

يتقدم الساحر أكثر، فيقول له الأمير:

-لا يجدر بك أن تغدر. فُكَّ وثاقي، ولنتبارزْ،

وحيــن تغلبني تكون الأميرةُ لك. قفزت السناجب لـتقرض حبال الأمير، لكنّ الساحر كان أسرع.. رشّ مــا فــي وعائه على الشاب الذي صار بلبلاً أمسكهُ الساحر فوراً، وصرخ في وجهه:

ـلــن تعــود إلى هيئــتك إلاّ إذا استطعت أن تحرق شعراتي الثلاث المدفونات في أوديةٍ ثلاثة. لا أعــتقد أنك ستعرف كيف تجدُ وادي الجماجم، ووادي العفــاريت، ووادي الجحيــم. لذلك، ستبقى بلبلاً يموت بعد ثلاثة أشهرٍ.

ثــم أطــلق الساحر البلبل، وقهقه حتى ارتمى عــلى الأرض، ثم نهض، وقف في صحنه، وضع المــنديل عــلى رأسه، ودوّر جسده والصحن، ثم اختفى.. ولم يبقَ مكانه سوى عمودِ دُخان.

حلّق البلبل بصعوبة، وقف على غصن شجرة البلّوط، ثــم نزل إلى النهر، شرب منه قطرات صــغيرةً جداً، وارتفع قليلاً في الهواء ليحطَّ على

ضفة البحيرة التي ماجتْ بِبطّها وإوزّها وبجعها.

كانت دمعات البلبل تختلط مع مياهِ البحيرة.

أكبرُ البجعات تقترب من البلبل، تنفضُ ريشها من الماء، تهزُّ رأسها، فتصطفُ وراءها البجعات والإوزّاتُ والبطّاتُ كفَرقة (باليه) عالمية، وما إن تستديرَ البجعةُ إلى صديقاتها، حتى يبدأن الرقص...

وقتٌ قصير، وتجتمعُ السناجب والأفاعي والضفادعُ والعصافير والفراشاتُ والنمل والنحل، تجتمع حولَ البلبل وترقص..

أشجار الغابة تُخاطب الأمير مُنْشِدةً:

-ارقصْ أيها البلبل، نحن سنساعدك.

يضحك البلبل، وببطءٍ يُحرك جناحَيْه، ثمٍ بسرعةٍ يُحركهما، ثم يرقص ويغني.. الغابةُ بكل ما فيها ترقص وتغني..

وما إنْ يتعب الجميعُ، حتى تشير أكبر البجعات إلى فرقتها، فتتوقّف عن الرقص والغناء، ومثلها تفعل أوراق الشجر وجذوره، والزهر، والعشب، ومياه النهر والبحيرة.

من هذه السَّكينة المحبَّبة، يأتي صوت أكبر البجعات لطيفاً:

-أنا ساحرةٌ بهيئة بجعة، ولا أستخدم سحري إلاّ من أجل الخير، لذلك، فأنا أملك طاقةً تتغلّبُ على سحر هذا الساحر الشرير.. طبعاً يسعدنا أن تبقى بلبلاً صادحاً في غابتنا، لكننا نريدكَ أن تعود إلى مملكتك أميراً لتتزوج من أميرتك، وترجع بصحبتها لزيارتنا.

ثم رفعت أكبر البجعات صوتها سائلةً بقيّة أصدقائها من حيوانات وأشجارٍ ونباتات.

-أليسَ كذلك يا أحبّتي؟

بصوت مُنَغَّمٍ أجاب الجميع:

-نعـم، هذا صحيح.. نحن نحبُّ البلبل، لكننا نحبُّهُ أكثر حين يرجع إلى هيئته الإنسانية.

بعد ذلك،

اقتلعتْ أكبرُ النبجعات ريشةً من جناحها الأيمن، وريشةً من جناحها الأيسر، وريشةً من تاجها، ثم دعت البلبل للاقتراب منها قليلاً.

الآن، بين البلبل والبجعة مسافةٌ كخطوةِ بَطَّة.

تعطي البجعة رِيشَاتها الثلاث للبلبل مُحذِّرةً:

-إياك أن تفقد أثناء الطيران إحدى هذه الريشات، لأنَّ فيهنَّ نجاتك. اتبعْ هذا السنجاب، (وأشارتْ بجناحها الناصع البياض إلى سنجابٍ صغيرٍ، خفيف الحركة)، سيوصلك إلى وادي الجماجم، ستدخله وتُشعل فيه ريشةً، ستجد هناك من يساعدك، ويهديك إلى مكان شعرة الساحر،

احـــرقْها بالريشـــة. عليك أن تفعل ذلك في وادي العفاريتِ ووادي الجحيم.

سأل البلبلُ:

-والسنجابُ، ما مصيرهُ؟ هل سيبقى معي؟

أجابت البجعة:

-لا، الســـنجاب سيوصـــلكَ فقـــط إلى وادي الجماجم، ويعود إلى غابتنا.

رفـــرفَ البلبل بجناحيه فوق كلِّ الغابة منشداً وكأنّه يودّعها، ثم حلّق تابعاً السنجاب الرشيق.

السنجابُ يقفز بسرعة.

والبلبل يطير فوقه...

قطع الاثنان الغابةَ وأراضٍ كثيرةً موحشة، ولم يـــتوقّف السنجاب الظريف إلاّ على هضبة مرتفعة مليئة بأشجار الجوز والسنديان، ولاهثاً، قال للبلبل

الذي حطَّ قربَهُ:

-هناك وادي الجماجم. لا تنسَ ما أوصتْك به البجعة.

دمعتْ عينا البلبل وعينا السنجاب وهما يتودّعان.

عاد السنجاب من حيث أتى...

وحلّق البلبل وراء الهضبة..

وصل إلى وادٍ مليء بجماجم بشرية وحيوانية.

كان المشهد مرعباً ويحتاج إلى بلبل قويّ القلب.

وما إن أشعلَ البلبلُ الريشة السحرية الأولى، حتى طارتْ، وحطّتْ على إحدى الجماجم، حملتْها، وعادتْ إلى البلبل. حدّق البلبل في الجمجمة، فرأى شعرة الساحر في محجرِ الجمجمة الأيسر، أخرجها بمنقاره، وحرقها..

احـترقت الشعرة الأولى، ففقد الساحرُ الجالس في قصر الأميرة ساقيه.

تنطفئ الريشة. وتقفز الجمجمة أمام البلبل قائلة:

-اتبعني..

بدهشــة وبفرحٍ غامر، يتبع البلبل الجمجمةَ.. ويقطعــان مســافاتٍ مــن الأحراج.. يصلان إلى منطقة صحراوية..

وهنا، تتوقف الجمجمةُ، تفتح فَكَّيْها وتقول:

-وراء تــلك الصــخرة يقع وادي العفاريت. سأتركُكَ وأعود إلى وادي الجماجم.

يــودع البلــبل الجمجمــة العائدة بسرعةٍ إلى واديهــا. ثــم يحــلّق باتجاه وادي العفاريت. من الوادي.

كــانت تصــدرُ أصواتُ أشباحٍ كثيرة، بعضها يصــرخ، بعضــها يغني، بعضها يولول، بعضها

يبكي، بعضها يضحك، وبعضها يعزف..

يـــرتعش ريـــش البلبل من أصوات وتحرُّكاتِ الأشباح، ويتذكّرُ أنّ عليه إشعال الريشة الثانية.

يُخـــرج البلبل الريشة ويشعلها، فتطير، وتنزلُ في الوادي.

وعـــندما تصـــبح الأشـــباح واضـــحةً، يقول زعيمها:

-هيا يا عفاريتي لنهربْ قبل أن تحرقنا الريشة المسحورة..

يهبط البلبل وقبل أن يصل إلى الريشة الواقفة عـــلى صندوقٍ صغير، يهرب الجميع، يفتح البلبل الصـــندوقَ، ويُخرج منه الشعرة الثانية.. يحرقها، فيفقـــدُ الســـاحر الممـــدّدُ في قصر الأميرة جذعه الفوقيَّ ولا يبقى منه غير رأسه.

عفـــريت صـــغير كان يتلصّصُ.. رآه البلبل،

فطـــار إليه... ركض العفريت هارباً. فصاح عليه البلبل:

-لا تخـــفْ، لن أؤذيكَ.. فقط، أريدك أن تدلَّني إلى وادي الجحيم.

بخـــوف شديد، يرافق العفريت الصغير البلبل إلى وادٍ، نـــباتاته تصـــدر أشعةً، وأشجار بعضها يحرقُ بعضاً...

هنا، يتوقف العفريتُ قائلاً بصوتٍ مُرتجف:

-هـــذا هـــو وادي الجحيم.. إذا اقتربت أكثر فسأحترق.. أرجوك أن تعذرني.

بمودّة يقول البلبل:

-أظنَّـــنا أصـــبحنا صديقين.. أشكر لك حُسن صنيعك..

بفرحٍ يقول العفريت الصغير:

-إلى اللقاء إذن..

ثم يركض بكلِّ قواهُ راجعاً إلى وادي العفاريت.

ينظر البلبل إلى الأشجار المشتعلة، إلى اللهب وهو يتراقص كجحيمٍ حقيقيّ في هذا الوادي.

بتفاؤل، يُشعل البلبل الريشة الثالثة، فتنطفئ كلُّ نيران الوادي.. ويخمد جحيمه.. تحلّق ريشة البجعة السحريّة إلى صخرةٍ سوداء، تزحزحها، فتظهر الشعرة الثالثة.. وما إنْ يحرق البلبل شعرة الساحر الأخيرة، حتى يتبخّر رأس الساحر من قصر الأميرة فيموت...

وما إن يموت الساحر، حتى يعود البلبل إلى أمير..

ريشة البجعة المنطفئة تحمل الأمير.. تحملهُ مثل عصا الساحرة التي نعرفها من خلال الحكايات،

ونطيــر به.. تقطع مسافات بعيدةً.. وتوصل الأمير إلى قصــر أميــرته بســرورٍ يستقبل الملك والملكة وابنــتُهما الأمير الشجاع الذي يدعوهم للذهاب معه إلى مملكته حيث ينتظره والدهُ.

وفي الطريق،

يــتحدّث الأميــر عن كل ما صادفَهُ.. فتفرح الأميرة بعريسها الفارس.

يصل الموكبُ الملكيُّ إلى قصر الأمير.

كــان القصـــر جميلاً ومُبْهِراً، تحيط به حديقةٌ رائعــة، فــي وسطها بحيرةٌ، على سطح البحيرة، وردٌ ملوّنٌ وأوراق شجر..

يدخــل الأميــر محيّيــاً والديه اللذين ينهضان لاستقبال الأميرة ووالديها.

كان لقاءً حاراً ومبهجاً..

تــرك الأمير الملكين والملكتين وعروسه في

قاعـــة الاستقبال، وذهب للاستحمام، وبعدما انتهى مـــن ذلك، ارتدى ثيابه ألتي اشتاق إليها، واستأذن الأهل باصطحاب الأميرة إلى حديقة القصر.

عبر الاثنان رواق القصر إلى البوابة..

نــزلا الـــدرج المرمـــريَّ.. وقفا بين أشجار الحديقة ينظران إلى السماء..

ثمّ، مَشيا إلى البحيرة..

حين رأى الأمير البحيرة،

ترك ذراعَ عروسه، وصاح ببهجةٍ:

-يا إلهي كيف حضرتم؟ آه، ما أروعكم.

على سطح البحيرة،

كان يرقص البطُّ والإوزُّ والبجعُ بقيادة بجعتهم الكبيرة.

على حوافي البحيرة،

كانت تصطفُّ الأشباح وفي يدِ كلِّ واحدٍ منها باقة ورد.

وفي وسط البحيرة،

كـانت تـتلألأ شـمعةٌ مشتعلة داخل جمجمةٍ ترقص..

لـم تخف الأميرة من ذلك، فأميرها حدثّها عن أصدقائه المخلصين.

بخطواتٍ رشيقة تقدّمتِ الأميرة مُحيّيةً الجميع الذين ردّوا عليها بتحيّةٍ سريعةٍ، وبكلماتٍ جميلة:

-مـبارك أيها الأميران. رغبنا بتهنئتكُما قبل يومٍ من موعد الزفاف، فهل تقبلان؟.

بسرعةٍ ردّتِ الأميرةُ والأمير:

-ما أسعدنا بذلك...

ثم بدأ الجميعُ يرقص ويغني...

حتّى اليوم،

مـــا زالـــتِ الغاباتُ ترقص وتُغنّي مع البلابل متناقلةً هذه القصةَ...

♫ ♫



سؤال البرتقالة

تروي إحدى الحكايات:

أنّ علاء الدين ضيّع مصباحه في أثناء تجواله بين المدن والبلاد..

من لحظتِها،

قرر علاء الدين أنْ لا يعود إلى قصتّه (علاء الدين والمصباح السحري).

من لحظتِها أيضاً،

لم يعدُ المصباحُ المفقودُ مسحوراً بسبب غياب

صاحبه..

وبقـــي الماردُ مأسوراً في المصباح ينتظر من يخلّصهُ من سجنه ليعيش حياته العادية.. وفي يومٍ من الأيام،

قــررت أن ترتّب غرفتك، لتأخذ شكلاً آخر. نقلتَ طاولتك وكرسيَّكَ إلى الزاوية.

ووضــعت صــندوق ألعــاب قرب المكتبة. اخترتَ دُبّاً أبيضَ وأجلسته على السرير.

ثــم بــدأت تعيد النظرِ في ترتيب الكتب. كان أبــوك قــد أهــداك قطعةً برونزية صغيرةً بهيئة (المســجد الأقصى). تمسح القطعة بمنديلٍ نظيف، وتقول مُتحسراً:

-مــتى ستتحرر فلسطين لنزورها ونُصلّي في المسجد الأقصى؟... يا الله، لقد مضى وقت طويل على احتلال فلسطين، منذ عام (1948م) المشهور

بعام النكبة، ونحن نحلم برؤية فلسطين حُرّةً، أبيّة.

تمســح دمعاتك الطافرة من عينيك، تبعد لعبة (السنفور) الصغير من مكانها.

تـنفض الغـبار عـن الكُـتب، وإذ بك تلمح مصــباحاً عتيقاً وجدته ذات يومٍ في حديقة بنايتكم. وقتها، كنت عائداً من المدرسة، فرأيتَ شيئاً يلمع، حملتَهُ، وفرحت به.. وقلت لأبويك:

-انظُـرا... لقد وجدتُ هذا المصباح الأثريَّ في حديقة المبنى..

قالت أمُّكَ:

-أرِنــي.. فعلاً إنهُ جميل. سأضعه في الصالة قرب ذاك الصحن الصيني..

فوراً قلتَ لأمك:

-أتمنى أن تتركيه لي، لأضعهُ في مكتبتي..

وكان لكَ ذلك.

وهــا أنتَ تخرج المصباح من رفٍ المكتبة.. تجدهُ شاحباً، فتمسحه.. بسرعةٍ تفركهُ كي يسترجع لمعته وبريقه.

وبغتةً،

تسمع صوت أنين، ثم صوت حركة، ثم يخرج دخانٌ ضبابيٌ ويقف أمامك..

مــــاردُ المصباح يقف وبيدهِ برتقالة، وبصوتٍ جميل يقول لك:

-شُــبيكَ لُبيّك، خادمُ مصباح علاء الدين بين يديك.

فتقول له مستغرباً:

-أحقّاً أنت هو، أم أنك لعبةٌ تمازِحُني.

المارد الذي لم يكن ضخماً، أجابك:

-حقّــاً، أنا هو.. أنا ماردُ المصباح أيها الطفل الذي يحب وطنَهُ العربي.

بفرحٍ شديد تسأله:

-هل لي أن أطلب شيئاً؟

-يســعدني أن أنفّذَ كلماتك، لكنني لا أستطيع الآن.

-لماذا لا تستطيع؟

-لأنَّ وجــودي فقــدَ مفعولـــــه السحريَّ منذ ضيّعني علاء الدين..

-إذن، لماذا تقول: شبَّيكَ لبَّيك؟

-اعــتدتُ على أن أقول ذلك حين أخرجُ من المصـــباح، وها أنا خرجت الآن للمرّة الأخيرة في حياتي، فقط من أجل أنِ أعطيك هذه الهدية.. فأنت من أنقذني، وقد عاهدتُ نفسي على أنْ أعطي هذه البرتقالةَ لمنْ سيفكُّ أسري ويُحرّرني من المصباح الذي لن أعودَ إليه بعدَ الآن أبداً..

ثــم، وضــع المــارد البرتقالة على الطاولة،

واختفى...

تدلـك المصـباح بسـرعةٍ علّ المارد يعود للظهور، لكنّهُ لا يفعل... كان صادقاً في ما يقول.

تُرجع المصباح إلى مكانه في المكتبة. وتجلس على كرسيّكَ متفحّصاً البرتقالة.

تمـدّ يدكَ إلى البرتقالة اللامعة معتقداً أنها من ذهـب.. تضعُها بين كفّيك، فتدلكها قليلاً، فتتحول إلى فتاة فلسطينية، تلبس عباءة، وتضع منديلاً على رأسها، تسألك:

-هل خفتَ مني؟

-خفـتُ قليلاً.. ليس منك، بل، من حضورك المفاجئ.

-هل تستضيفني مُدّةً قصيرة؟

-بالتأكيد، تفضّلي واجلسي على هذا الكرسي، وأنا سأحضر كرسيّاً آخر من الصّالة.

-أين أسرتك؟

-لا أحد في البيت غيري. فأمّي وأبي ذهبا لزيارة عمّتي.

تسألك الفتاة:

-هل لديك وقتٌ لنتحاور؟

بابتسامةٍ عذبة تُجيبها:

-نعم، فأنا مشتاقٌ لمعرفةِ كلِّ شيء عن حياتك.

تتنهّدُ الفتاة وتقول:

-أنا ابنةُ شجرةٍ وفيّة بقي جذرها في فلسطين. رعتني والدتي شجرة البرتقال رعايةً كريمة، سقتني من نسغها الذي شرب من دماء الشهداء. وتساعدت مع أوراقها في عمليّة التركيب الضوئيّ، فكبرتُ إلى أن أصبحتُ هذه البرتقالة.

تشهق الفتاةُ بألمٍ وكأنّها تبتلع دموعاً وحسرات

كثيرةً، ثم تتابع:

-لقد طردني الصهاينة من أرضي مع كثيرٍ من الفلسطينيين. عبرتُ لبنان إلى سوريا حيث وجدني مارد المصباح، وأخذني إلى علاءِ الدين الذي قال له أدخلها معك إلى المصباح.. منذُ زمنٍ وأنا أقيم في هذا المصباح. ولم أكن أسمع غير أنينِ المارد، وهو يقول: سأُعطي هذه البرتقالة هديةً لِمَنْ سيُحررَني..

-إذنْ، أنت هديّتي الغاليةَ.. وستقيمين معي، ومع أسرتي.. هل تعجبك مدينتي؟ بصوت مجروح تقول الفتاةَ:

-كنت أتمنى أن تكون فلسطين مستقلّةً، لتكون (القدس) أو (حيفا) أو (يافا) شبيهةً بهذه المدينة الخلاّبة.

بترحيبٍ كبير، تقول لها:

-لــكِ أن تعتــبريها وطنَكِ، ريثما ننجز حلمنا وتعود فلسطين.

تسمعها تُنشد:

بــلادُ العربِ أوطانـي مــن الشــامِ لبَغدانِ

فتُنشدُ معها:

ومن نَجْدٍ إلى يَمَنٍ إلى مصــرَ فــتطْوانِ

وعندما تصمتان، تقول لكَ:

-أنا أعتبرُ الوطن العربي كله وطني، لكنْ، ألا تشعرُ بأنَّ سماء وطنك، دائما، هي الأجمل؟

يُحــرجك السؤال، فتنهض من كرسيّكَ، وتخطو باتّجـــاه نافذتك، تفتحها، وترفع بصرك نحو السماء.. الشمسُ، رغم الحرارة، تبدو رائعةً.. و (الكورنيش) لا يعــرف الاسترخاء ولا التعبَ، ومياههُ المتحركة مــع النســمات تظهر مثل لوحةٍ عظيمة لن يكتشف أسرارها أكبر الرّسامين في العالم.

تستنشق نَفساً عميقاً، وتعود إلى الفتاة.

لكـــنك لا تجـــدُ أيَّ أثرٍ للفتاة.. تبحث في كلِّ غُـــرفِ بيتكَ، في المطبخِ، على الشرفة.. تركض إلى المصباح. وتدلكه، لكنهُ... لا يُجيب..

تغـــلق زجاج مكتبتك، وزجاج النافذة، وتجلس عـــلى أحـــد الكرسيَّيْن. تشردُ في الكرسي الفارغ الذي كانت تجلس عليه فتاةُ البرتقالة، وتتساءل:

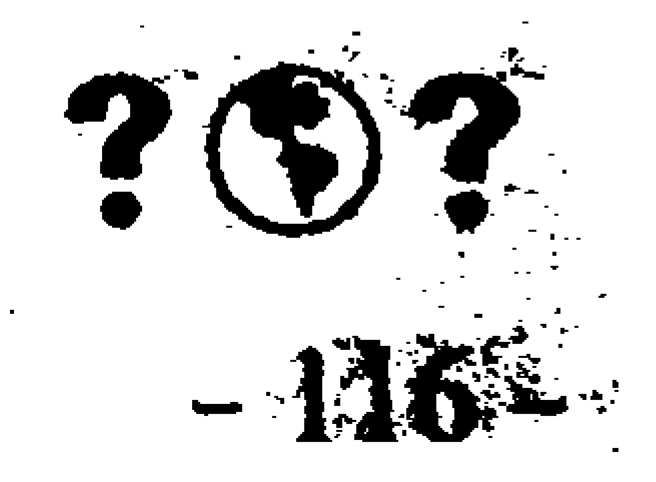
-هل كنتُ أحلم؟...

وبيـــنما أنتَ شاردٌ تنُقِّلُ بصرك من الكتب إلى المســـجد الأقصى البرونزيِّ إلى المصباح، يأتيك صوتٌ من ذاكرتك، صوتُ برتقالةٍ حزينة:

ألا تشعر بأنَّ سماءَ وطنك

دائماً،

هي الأجمل...؟..





الفصول المجنونة

في الأزمنة الغابرة،

حيث القُرى تتناثر كعَقدِ لؤلؤ مفروط...

كانت الفصولُ تمرُّ على البراري والسهولِ والجبال..

كانت الحقولُ تعلمُ متى سيحلُّ عليها الصيف لتحصدَ سنابلها الشقراء، ومتى سيُقيم فيها الخريف لتسقط بعض الأشجار أوراقها، ومتى سيعبرها الشتاء لتفتح ذراعيها إلى أمطاره وثلوجه، ومتى

سترقص هذه الحقول مع الربيع.. وحدث في زمنٍ ما، أن تصارعتِ الفصول. كان خلافُها يدور حول تـبديل الأشـــهر.. الصيف يريد أن يأتي في أشهرِ الشـــتاء، والشـــتاءُ يـــريد أشهر الربيع، والخريف يرغب في استبدال أشهره بأشهُرِ الصيف...

واحتدَّ الصراع بين الفصول..

وعندما لم يتوصّلوا إلى اتّفاق، هرع كلٌّ منهم، فـــي اللحظة نفسها، إلى الأرض.. فوجئتِ الحقول بهذا الجنون..

ونباتاتُها وقعتْ في حيرةٍ هائلة..، والحيواناتُ أيضاً..

وحدها بعضُ الأشجار لم تكترثْ لهذا التغيير، كالصّــبّار والزّيــتون، والدّفلى والصنوبر والبلّوط والنّخيل والسَّرو..

غضبتِ الريحُ من هذا الوضعِ الجديد، فقرّرتْ أن تطرد الفصول كلها.

جلســتِ النســائم والعواصــف والأعاصــير والــزوابعِ تحــت شــجرة مشمشٍ في حقل فلاحٍ عجــوز، تُخطّط لطرد الفصول إلى مقبرةٍ أو إلى وادٍ، أو حتى خارج الأرض.. ولحُسنِ الحظ، كان الفــلاح العجــوز موجوداً لحظتها، وكان قد ورِث طريقة التفاهم مع الريح من والدِه...

كانت الرياح تتهامس وتُخطّط بصوتٍ منخفض حينما اقترب منها العجوزُ مُحيّياً:

-السلام عليكِ يا رياحنا المباركة.

-وعــليكَ الســلام أيُّها الرّجل الوقور: ردّتِ الرياح باستغراب، وهبّت واقفة.

-أتمنّى أنْ لا تنفذّوا ما شرعتُم في التفكير به.

-ولماذا؟ سألتِ الرياحُ بغضبٍ حادّ..

-لأنكم إذا قتلتم الفصول، فسنموتُ جميعاً.. ألا تجدون الإقناع أفضل وسيلة؟:

قــال العجوزٍ بحكمة السنين التي عاشها وتعلّم منها ما يصلحُ لكل موقفٍ من مواقف الحياة.

-أنا لا أوافقكَ: أجابت العواصف والأعاصير والزوابع.

-أمّــا أنا، فأرى أن حلً الفلاّح العجوز أكثر نفعاً: قالت النسائم بثقة...

-هــل أقــنعكِ مباشــرةً؟: قــالتِ العواصف والأعاصير والزوابع.

-لا تكونــوا شــرّيرين. فكلامه مناسب، لكنْ، تساءلوا، كيف سنقنعُ الفصول؟

قالت النسائم وعادت إلى الجلوس تحت شجرة المشمش.

سؤالُ النسائمِ، جعل بقيّة الريح تجلس..

-أتســمحون لــي بمشــاركتكم الجلسة؟: سأل الرجل.

بصوتٍ واحد، قالوا:

-بكلّ تأكيد.. يُسعدُنا وجودك معنا، فأنت البشريُّ الوحيد الذي يفهم لغتنا. سيطر الصمت بُرهةً...

كانت النسائم تلتهم حبَّةَ مشمش، والعواصف تضع في فمها غصناً يابساً أخذته من الأرض، والزوابع، تحدّق في التربة حالمةً برملِ الصحارى.. والأعاصيرُ، تنظر إلى العجوز بتفحّصٍ.. ثم تسأله:

-ألديك أولاد؟

-منحني الله ثلاثة شُبّان.

-وماذا يعملون؟: استفهمتِ الزوابع.

-يساعدونني في رعاية الحقل.

-هل هم أذكياء مثلك؟: بلهجة لطيفة سألتهُ النسائم.

-أعتقد ذلك..

-إذنْ، دعهم يساعدونا في عودةَ الفصول إلى أشهرها الطبيعيّة.

-لكمُ ما تطلبون..

اقـــترب الصباحُ ولم يِعدِ العجوز، فقلق أبناؤُهُ عليه.. خرجوا من البيت متّجهين إلى الحقل..

لـــم تكـــن الطريق بين البيتِ والحقل بعيدةً.. دقـــائق أخـــرى، ويصـــل الشبَّانُ لاهثين.. فوجئ الأولاد الـــثلاثة بأبيهم جالساً تحت شجرة المشمش وهو يتحدّث مع نفسه.

ركض الشابُّ الكبير وقال:

-سلامتكَ يا أبي. لماذا تتحدّثُ مع نفسِكَ؟

ثم، فوراً، قال الشابُّ الأوسط:

-أقلقتَنا عليكَ جداً. هل أنتَ مزعوج من واحد منّا؟

سأل بتردُّدٍ الشابُّ الأصغر:

-بمــاذا تفكّرُ يا أبَتِ؟ هل أستطيع مساعدتَكَ؟ هل أنتَ متعبٌ فأحملك إلى البيت؟.

ابتسمَ العجوزُ، وقال بهدوء لأولاده:

-اجلسوا..

كــانت الــرياح تُراقبُ ما يجري بين الرجل وأبــنائه الثلاثة مثلما تُراقب الفصول المجنونة وما تفعله، نتيجة أنانيّتها، بالأرض.. فالثلجُ يتساقط مع انتشارِ شمسٍ صيفيّة حارقة، والبراعمُ ستتحوّل إلى أزهــارٍ وثمــارٍ لولا وجود الخريف الذي يُيبّسها ويُسقِطُها بعدَما تصبح صفراءَ..

كلُّ ذلك كان يحدثُ في نفس الوقت.

ولــم يقطــع الــرياح عــن مراقبتها للفصول وغضبها منها غيرُ صوتِ الأب وهو يقول:

-فــي زمــنٍ مضــى كــان يحكم هذه القرية

إقطـــاعيٌّ ظالم لا تعرف الرحمةُ إلى قلبه سبيلا.. كـــان يضرب الفلاحين، ويطرد بعضهم، ويسجن الـــبعض الآخـــر. وفي يومٍ من الأيام، جمع أهل القريةَ التي يملكُها، وأمرهم:

-يجـــب أن لا يـــبقى فـــي هذه القريةِ من بلغَ الخمسين سنة فما فوق.

نظـــر أهـــل القرية بعضهم إلى وجوه بعضهم الآخـــر، كـــان القهرُ والصمتَ والظلمُ يمشي في عروقِ طفلهم وشابّهم وكبيرهم ونسائهم وشابّاتهم.

قال رجلٌ عجوز يتوكأ على عصا:

-أتطـــردنا؟ إلى أين سنذهب؟ هل نذهب إلى الغابات المليئة بالوحوش، أم إلى الصحارى؟

بصوتٍ محروق، قالت إحدى النسوة العجائز:

-إنكَ قاسٍ، وبلا رحمة، إنكَ تدفُعنا إلى هلاكٍ مُحقّق.

من بين الجمْعِ جاء صوتَ عجوزٍ آخر:

-كيف تطلب منّا أن نترك الأرض التي تربَّيْنا فيهـــا، ثم كبرنا ونحن نزرعها ونعتني بها عشبةً، عشبةً، حبّةَ تراب، وحبّةَ تراب، قشّةً، قشةَ، وجذراً جـــذراً، وجذعاً، جذعاً.. إنها أمُّنا أو أحد أبنائنا.. كيـــف تأمـــرنا بالابتعاد عن أسرتنا والأرض التي أفنيـــنا فيهـــا عمرنا وأنتَ تأكلُ خيراتها، وتظلمُها وتظلمُنا.

قال عجوزٌ آخر:

-لن نغادر، ولن ننفّذ أمرك هذا، ولن...

وقـــبل أن يُكمل العجوزُ الأخير كلامه، أشار الإقطـــاعيُّ إلى حرســـه، فالتفّوا حول أهلِ القرية كســـياجٍ شائك.. ثمّ أشار الإقطاعيُّ ثانيةً، فاقتربَ الحـــرسُ مـــن كل الكبار في السن، وقادوهم إلى السجن.

وقـــبل أنْ يلحقَ الإقطاعيُّ بِحَرسه، قال لأهل

القرية مُقهقهاً:

-كــلُّهم ســيُطردون غداً. ومَنْ سأجد في بيته عجوزاً، سأطردُ العائلةَ كلها معه.

أجهــشَ الجميع بكاءً.. الأطفال يبكون آباءهم وأمهــاتهم، أجدادهــم وجداتهــم، وكذلــك الشبّان والشــابّات. بعضُــهم ركــض وراء الإقطــاعيّ يَسترحمهُ. بعضهم بدأ يدعو الله...

كل ذلك كان بلا جدوى.

عاد أهلُ القرية إلى بيوتهم وكأنّهم يمشون في جنازةٍ جماعية.

لــم يــنَم أهل القرية في تلك الليلة. كان القمر يُرسلُ أشعّةً شاحبة، وكانت الأرض تبكي بصمت رهيب..

كبارِ السن كلهم سيُطْردونِ غداً، ما عدا عجوز واحد ظَلَّ في بيته لأنه مشلولُ القدمين. عندما دخل

ابــنهُ الوحيــد عليه، ركض إليه مقبّلاً قدمَيْه ويديه ووجهــه. اقشــعرَّ جسد العجوز وقبّل وجنتي ابنهِ المبلّلتين بالدموع، ثم استفسر:

-مــا لكَ يا بُنيّ؟ ماذا يريد الإقطاعيُّ؟ ولماذا كلُّ هذا النشيج في القرية؟

-لا شيءَ يا أبتِ، لا شيء..

-أعــرف أنك لا تُخبِّئُ عني شيئاً، كما أعرف أنني ربّيتُك على الصدق.

مســح الشاب دموعه وجلس قرب فراش أبيه، تنهّدَ بعمقٍ، ثم قال:

-قــبضَ الإقطاعيُّ على الكبار في السن لأنهم لا يستطيعون العملَ في أراضيه، وغداً سيطردهم.

دمعتْ عينا الأب، وحدّق في ابنهِ وكأنّه يسأله: وماذا أيضاً؟

كان الشاب يفهمُ ما يريدُ والدهُ دون أن يُفصح

عن ذلك.

وبجــوارح تــبكي، وبصــوت يبكي، أضاف الشاب:

-هدّدَ بِطردِ العائلة كلِّها فيما إذا تبيّن أن لديها عجوزاً.

بيأسٍ، وبمحبّةٍ، قال الأب:

-خذني الآن إليه.

أغلقَ الشابُّ فمَ أبيه بيده المرتجفة، وصرخ:

-ماذا تقول؟ لا أريد إلاّ أن يطردني قبلَكَ.

ابتسمَ الأب بطمأنينةٍ، وحضنَ رأسَ ابنه قائلاً:

-اخفــض صوتك، ربّما يكون أحد جواسيس الإقطاعيّ قريباً من دارنا.

-ســأخفيكَ فــي القبو الذي نستخدمه للمؤونة، فهــو مكانٌ آمن، ولن يخطرَ في بالِ أحد من أهل القرية، أو من الجواسيس.

وبســـرعةِ البرْق، أعدَّ الشاب مكاناً لوالده في تلك الغرفة وجهّزَها بكلٍّ ما يلزمه. وجاء الصباحُ أسْود..

فـــي ذلك الصباح طُرِدَ العجائز كلهم، فحزن الناس حزناً خالداً..

لكـــنَّ الإقطاعيَّ لم يطمئنّ إلى خُلوِّ القرية من كبار السن.

فَدَبّر حيلةً ماكرة. أرسل رجالاً ليقرعوا الطبول مُنادين على الشبّان والشابّات لاجتماعٍ طارئ.

حضر الجميع مسرعين إلى ساحة القرية حيث ينتظرهم الإقطاعيُّ الذي فتح فمه الواسع، آمِراً:

-كــلُّكم تعــرفون أرضـــي الغربيَّة. غداً، مع شـــروق الشـــمس، أريدكـــم أن تذهبوا إلى هناك لتحصدوها.

دُهِــش الجميع من كلام الإقطاعيّ. تُرى، هل

جُنَّ، أم أنه يقصد ما يقول؟

رجــع الشبّانُ والفتياتُ إلى بيوتهم مُتهامسين حــول طلب الإقطاعيّ الغريب.. ماذا وراء طلبه؟ وما السرُّ فيه؟ وكيف سيحصدون أرضاً صحراويّةً لا تنبتُ فيها إلاّ بعض الشوكيات؟

أغلبهم نام بعد منتصف الليل وهو حائر.

تُــرى، أيــة مؤامــرة أو مكيدة تنتظرهم مع شروق الشمس؟

وصـــل الشابُّ الذي يُخفي والده إلى المنزل، وفــورَ وصــوله، ركــض إلى غــرفةِ أبيه، قبّلهُ وعلامات غير مفهومة تعتلي وجهه.

-ما بكَ يا بُنيّ؟

وأخبرَ الشابُّ والده بذلك الطلب. وما إن انتهى الابــنُ من الحديث، حتى وشوشهُ العجوز بكل ما عــليه أن يفعلــه، واختتم نصائحه وتعليماته بهذه

الكلمات:

-بعد ذلك سيساعدك فصلُ الصيف.

ما زال الرجلُ الذي يفهم لغة الريح يسرد على أبنائه هذه القصة.. وحينما وصل إلى كلمة فصل الصيف، هدأ الصيف، وجلس مع أولاد الفلاح ومع النسائم والعواصف والأعاصير والزوابع تحت شجرة المشمس.

أهلًا وسهلًا الجميعُ بفصلِ الصيف، ثم تابعَ الرجلُ حكايتَهُ:

-ومع شروق الشمس، كان الفتيان والفتيات جميعاً في الأرض الغربيّة. وكان الإقطاعيّ يقف على هضبةٍ مرتفعة منها، وبصوتٍ حادّ يقول:

-هيّا اعملوا، ما لكم تقفون كالبُلهاء؟ هيا احصدوا سنابل القمح الذهبية.

كانت عيون الحاضرين ذليلة.. لا يعرفون ماذا يفعلون..

وفجأة،

صاحت إحدى الفتيات:

-هل جُننتَ؟ ألا ترى أنه لا أثر للسنابل هنا؟ ألم تعد تميّز بين الصحراء والحقول؟

طبعاً، قبض عليها حرّاس الإقطاعي وسيضعونها بين القضبان حتى الصباح التالي حيث سيشهد الجميع طردَها...

وحْدَهُ ذلك الشاب كان قد أحضر معه منجلاً، كان يحزم بيده الهواء كما يحزم الحاصدُ السنابل، ثم يضرب منجله، ليقطع سوق السنابل. حصد صفاً من الهواء وكأنه يحصد قمحاً حقيقياً. ثم حصد صفاً آخر من الهواء، وعندما بدأ يحصد صفاً ثالثاً، صاح به الإقطاعي:

-أنتَ.. تعالَ إليَّ.

اقــتربَ الفتى غير خائف، ووقف على مقربة من حصان الإقطاعي.

-ماذا تفعل؟

-أحصد.. أنفّذ أمركَ.

-أين ما حصدته؟ لماذا لم تأكلْ منه؟

ذُهِــل الحاضرون. لكنّ الفتى عاد إلى المكان الــذي وصلَ إليه وهو يحصد وتابعَ صفاً ثالثاً من سـنابل الهــواء. فـــي هذه اللحظة، اقتربَ فصل الصيف من الشاب وأخبرهُ ما الذي سيفعله.

وضع الفتى المنجلَ على الأرض، ودعك كفَّيْه كمَــنْ يدعــك بضعَ حباتٍ من القمح، ونفخ عليها لتطيرَ قشورُها، وكمن يأكلُ حنطةً حقيقية يضع ما في كفّيْهِ من هواءٍ في فمه، ويمضغ..

يتعجّب الإقطاعيُّ من هذا الفتى، ويُناديهِ قائلاً:

-مَن علّمَكَ كلَّ هذا؟

يحاول الشاب إخفاءَ ارتباكه، ويجيب:

-كما تَرى، لم يُعلّمني أحد.

-وحدك ستأتيني غداً بعد الظهر إلى قصري، مُحضراً معك أخلصَ صديق، وألدَّ عدوّ، وخيرَ من يكتمُ سِرّاً.

وصل الشاب إلى بيته كئيباً، محزوناً، وباكياً..

أدرك والــده العجوز المشلول ما يعتري ابنه، وقال:

-هل استنتجتَ شيئاً؟

كــانت دمــوع الفتى الحرّى تقطع إجابته بين كلمةٍ وأخرى:

-نعــم يا أبي لقد استنتجتُ أنّ الإقطاعي يريد أن يعرف هل هناك رجلٌ عجوز في قريتنا، أم أنه قد طردهم جميعاً.

هــزّ الشيخ الكبير رأسهُ، ومُكفكفا دموع ابنه قال:

-ماذا طلب منك بعد ذلك؟

-كأنك كنت معي. لقد طلب مني أن أُحضر له أخلص صديق، وألدّ عدوّ، وخير من يكتم سراً.

ضحك الرجل، وقال:

-لا يوجد أسهل من هذا الطلب.

فتح الابنُ شدقيهِ على مصراعيهما متسائلاً:

-وكيف؟

-هاتِ أذنكَ.. فأنتَ تعلم بأنّ للجدران آذاناً.

ومــع إشــعاعاتَ الشمس الأولى قبّل الفتى يد والده مغادراً إلى حيث أرشدَه..

ركــض الشاب في طريقٍ وعرةٍ ستوصلهُ إلى جــبلٍ فيه مغارةٌ. لاهثاً، دخل المغارةَ ليقابلَ فصل الشتاء.

عندما ذكر الفلاّحُ اسم الفصل الذي سيقابله الفتى، جاء فصل الشتاء إلى المجتمعين تحت شجرة المشمش، واستأذنهم بالجلوس، فرحّبوا به ضيفاً عزيزاً، صافح فصل الصيف، وأصغى لبقيّةِ الحكاية:

-كان فصل الشتاء جالساً على صخرةٍ في المغارة يُهيّئ نفسه لأشهُرهِ. ضوءُ المصباح الذي يحمله الفتى أفزعه قليلاً، وحين أخبره الشابُّ بأنّ والده أرسله إليه ليجيبهُ عن سؤاله، اعتزّ الشتاءُ بنفسه، وجلس كحكيمٍ هرمٍ على صخرته مستمعاً للسؤال:

-مَنْ برأيكَ أخلص صديق لي، أو لأيّ إنسان؟

-هل لديكم في البيت كلب؟

-نعم، فأنت تعرف أنّ أهل القُرى لا يستطيعون العيش بلا الحيوانات، كالغنم والماعز

والإبل والبقر، والدجاج، وخاصة الكلب.

-هل وصلكَ الجوابُ؟: سألَ الشتاءُ الفتى.

-بكلٍ تأكيد، أشكرك.

ثم أسرع الشاب إلى النبع المتدفّقِ من الأرض المقابلة للجبلِ، حيث الربيع يغسل وجهه في المياه الباردة، النقيّة..

-أسعدتَ صباحاً يا فصلَ الربيع: سلّم الفتى.

-وصباحُكَ سعيد: رَدَّ الربيعُ.

وبيـــنما يُحدِّث الرجلُ أبناءه الثلاثة والـــرياح وفصـــل الصـــيف والشتاء، بهـــدوءٍ انضـــمَّ إليهـــم فصـــلُ الربيع ليستمع:

سأل الفتى:

-منْ ألدّ عدوّ؟

نظر فصل الربيع مَليّاً في الأفق، مُنقّلاً بصره

بين السماء والجبل والنبع، ثم أجاب:

-هل في بيتكم خادم؟

-أيعقل أن يكون عدوّنا خادمنا الذي نعامله أنا وأبي كأخٍ عزيز؟

ودّع الشاب فصلَ الربيع غير مصدّقٍ ما يسمع، واتّجه راكضاً بأقصى قواه إلى المكان الأخير الذي دلّهُ والده العجوز عليه. قطعَ الفتى الأحراج ووصل إلى غابة مليئة بمختلف الأشجار، كان الخريف يجلس على أحد الأغصان العملاقة يُحصي الأوراقَ التي سيسقطها. رمى الشاب التحية على فصل الخريف الذي ردَّها بتحيَّةٍ حارة.

هنا، انسحبَ فصلُ الخريف الواقف وحيداً خلف شجرةَ المشمش، انسحب من وحدته، ومبتسماً جاء ليشارك الجميع في الجلسة.

نظر العجوز صاحبُ الحقل إلى

الــرياح المجتمعة حوله، وإلى الفصول الــتي نســيت صراعها والتفت حولها، وبسرور أكمل:

مرهقاً: سأل الفتى الخريف:

-قصــدتك لأجل هذا السؤال: مَنْ هو خير من يكتم سِرّاً؟

قهقــهَ الخــريف. قفز من الغصن إلى التربة، وأجاب:

-ألمْ يخطرْ لك بأنّ الحمار لا يفقه شيئاً. لذلك هو خير من يكتمُ سرّاً؟

ثــم عــاد الخريف إلى الغصن، ودموعهُ من كثرة الضحك كانت تبلّل وجه الشاب.

بغتةً، صمت العجوز، ولم يتابع القصة.

-لمــاذا تصمت؟ من فضلك إحكِ لنا ما حدث بعد ذلك؟: سألتِ الرياحُ والفصول.

قال العجوز بكلٍّ إصرار:

-لن أخبركُم قبل أن تتصالحوا جميعاً.

عـندئذٍ، فهِـمَ أولاده الثلاثة أنه كان يتكلّم مع الرياح والفصول، فاعتذروا منه، مُتمنّين أن يحكي لهم ما جرى بعد ذلك.

-حسـناً يا أبنائي، سنتابع، ولكنْ، ليس قبل أن تتصافى الفصول والرياح.

نهضـتِ الفصـول باحترام وتصافحتْ وقبّل بعضـها بعضاً، وكذلك فعلتِ النسائم والعواصف والأعاصير والزوابع. ثم كلٌّ من الرياح والفصول تعاهدوا على محبّةٍ تقاومُ كلَّ الظروف.

-هل كلّ منكم راضٍ الآن بأشهره؟

بصوتٍ واحد، أجاب الصيف والشتاء والربيع والخريف:

-بل نحن فرحين بأشهُرِنا.

-وأنتِ يا رياح، هل نزعتِ النقمةَ من قلبك؟.

-لا نقمة على أحد بعد الآن.

-إذنْ، إليكم خاتمة القصة:

قبل الظهر، عاد الشاب إلى والده. كان الأب العجوز يعرف الأجوبة، لذلك، قال لابنه:

-لا وقت لديك خُذِ الكلبَ والخادمَ والحمار واذهبْ إلى قصر الإقطاعي.

تماماً، بعد الظهر، كان الفتى قد وصل إلى القصر.

من الشرفة المزركشة، قال الإقطاعي:

-هل أحضرتَ ما طلبتُهُ منك؟

-نعم، فهذا الكلبُ هو أخلص صديق.

-وما دليلُكَ؟.

ضربَ الفتى كلبَهُ بالعصا، فهربَ بعيداً، ثم صاحَ عليه الشابُ رامياً العصا على الأرض،

قائلاً:

-هاتِها..

حمـــل الكـــلب العصا بين أسنانه ووقف أمام الشاب.

-أأُخبركَ من هو كاتمُ سرّي؟.

-لو لم أكن أريد ذلك، لمَا طلبتهُ منك.

اقـــترب الفتى من الحمار، وهمسَ في أُذنه، ثم قال للإقطاعي:

-اسألهُ ما أسررتُ له.

بُهِـــتَ الإقطاعيُّ من ذلك، وقبلَ أنْ يتفوّهَ، قال الشاب:

-ستعلم الآن مَنْ هو ألدّ الأعداء.

أخـــذ الشاب العصا من فم الكلب، وضربَ بها خادمَهُ الذي قفز وصرخ:

-يـــا سيدي العزيز، إنه يُخبّئُ والده العجوز،

المشلولَ في بيته، في غرفة المؤونة.

باحَ الخادمُ بالسرِّ، فاصفرَّ وجه الفتى ليس لأنَّ الإقطاعيَّ سيطردهُ، بل، لأنه سيطردُ والدهُ.

بلمحِ البصر، غاب الإقطاعيُّ عن شرفتهِ، وظهرَ أمام الفتى الخائف.

-هيا إلى بيتكم: بلهجةٍ غير غاضبة خاطب الإقطاعيُّ الشاب.

كلٌّ منهما ركب حصانَهُ ولم يتكلّما معاً طوال الطريق.

دخل الشاب على والده شبهَ منهار، ووراءه يقف الإقطاعي.

رحّبَ والدُ الفتى بضيفهِ وطلبَ من ابنهِ أنْ يقدّمَ له شيئاً يشربه.

جلس الإقطاعي قرب فراشَ العجوز، وبحزنٍ قال:

-اعذرني يا شيخنا المبجّل، فقبل الآن، لم أكن أدرى بأنَّ لكبار السنّ كل هذه الأهمية. تعلّمت منك أن أكون منذ الآن رجلاً آخر، وكم أنا مرهق الروح من ظلمي للناس ومن طغياني. كنتُ أحسبُ أنّ المُلْكَ وحده يجعلني قوياً، آمراً، ناهياً.

-ربما سيعذرك أهل القرية عندما ستُلَبّي ما أطلب منك، فهل تسمح بأن أصرّح عن ذلك؟.

بيدَيْـنِ تهزّان صينية الشاي، دخل الفتى على والده وضيفه.

تناول الإقطاعيُّ كأسَ الشاي شاكراً. استغربَ الفتى تصرُّفات الإقطاعي الغريبة.

تُرى، هلا فعلاً هو مجنون، أم أنه أصبح عاقلاً؟: همسَ الشاب في نفسه، وجلس.

-وما طلبُكَ أيها الشيخ؟

-هل تَعِدُني بتنفيذه؟

-أعِدُك..

-أن تصبحِ رجلاً خيّراً، وأن تُعيدَ الناس الذين طردتهم جميعا، وأنْ تعيش بين أهل القرية وكأنك واحد منهم.

-أهذا كل شيء؟

-نعم، هذا كل شيء.

-لك ما تريد، لكن مقابل شرط.

-ما هو؟

-أن تـأتي أنـتَ وابـنُكَ وتقيمـان معي في قصري.

يرغب الجالسون تحت شجرة المشمش بانتهاء الحكايـة، لكـنّ الرجل العجوز الذي كان يَسْرِدُها لأبنائه وللريح وللفصول، ولكَ، قال:

-وهكـذا انتهتْ هذه القصةُ التي وجدَها يوماً والدي في أرضه.

-وهـل توجد في الأرض حكايات؟: استفهمتِ الرياح.

بهدوءٍ أجاب الرجل:

-لقـد وجدها والدي مكتوبةً على لوحٍ طينيّ، دفنتْهُ عواملُ الطبيعة، من فصول ورياح وسنوات.

كـانت، الشـمسُ قد توسّطت السماءَ، وتلألأتْ صـافيةً عـلى حقـل العجوز الَذي نهض مُودِّعاً الـرياح والفصول، سالكاً مع أولاده الثلاثة طريقا ستؤدّي إلى بيته.

ومنذ تلك اللحظات،

وبعدما سمعتِ الفصولُ هذه الحكاية،

صارت تأتي في مواعيدها على مَرّ السنين..

صدر للكاتبة:

1-ألياذة الدم /شعر/ دار الحوار/ 1997

2-نشور الأزرق /شعر/ دار المرساة/ 1998

3-أوديسا البنفسج /شعر/ مركز الإنماء الحضاري/ 1999

4-الفارس الأزرق /قصة الأطفال/ الهيئة العليا لجائزة قصة الطفل العربي- أبو ظبي/ 1997.

5-فتاة التفاحة/ حازت جائزة وزارة الثقافة السورية، وستصدر عنها- 2000.

6-برزخ اللهب /رواية/ دار آرام/ 1999

7-قلق النص /نقد/ قيد الطبع

■■■

الفهرس

الإهــداء.. 5
كلماتُ البحر 7
أين أمّي؟ 21
النايُ والحوريّة.................................... 31
الخنساء في الحديقة.............................. 47
هل ترحل مع السنونو؟.......................... 67
البلبل والساحر 89
سؤال البرتقالة................................. 107
الفصول المجنونة............................... 117
الفهرس 147
صدر للكاتبة: 148

■■■

رقم الإيداع في مكتبة الأسد الوطنية

الفصول المجنونة: قصص للأطفال/ غالية خوجة.- دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2001 -

148ص ؛17 سم.

1- 813.01 ط خ و ج ف   2- العنوان

3- خوجة

ع- 2001/5/891   مكتبة الأسد

□□


اتحاد الكتاب العرب
ARAB WRITERS UNION
DAMASCUS دمشق



مواليد : سوريا - حلب - (١٩٦٨/٧/١٠)

اجازة في الحقوق - جامعة حلب - ١٩٩٣

من مؤلفاته

الأعمال الشعرية :

(١) - البائدة الدم / دار الحوار / ١٩٩٧

(٢) - نشور الأزرق / دار المرساة / ١٩٩٨

الأعمال القصصية :

(١) - نصوص النثرة

(٢) - جحيميات اللازورد

للأطفال :

(١) - الفارس الأزرق

(٢) - الفصول المجنونة

مطبعة اتحاد الكتاب العرب
دمشق

ثمن النسخة
١٥٠ ل.س